رواية
المجهول

من تأليف
سامية بنشار

رواية

المجهول

من تأليف:

سامية بنشار

مقدمة

<هل شعرت يوما أنك مجهول أو ربما نكرة؟>

إن كانت الإجابة هي "لا"، فاستعد لخوض مغامرة مع بطل القصة الذي يعيش حياته بحثا عن نفسه.. أو ربما حظه كذلك !

يكفي أن تصور في ذهنك صورة لبطل من اختيارك و تابع بعد ذلك الأحداث، لتغوص داخل أعماق الرواية.

إهداء :

لمن كانت سندي عند هواني

لمن شجعتني و ساعدتني على الوقوف بعد فشلي

لمن شاركتني أفكاري بعد ضياعي

لصغيرتي الجميلة

أختي العزيزة

شكرا لك

(١)

اليوم١٤ أبريل، انتهى كل شيء، قد تتساءلون عن ما أقول ،أو من أنا ... يمكنكم أن تدعوني بالمجهول ،لقد كان لي اسم أتباهى به أمام الناس لأنني كانت لدي حياة ... أما الآن فانتهى كل شيء و إليكم قصتي .

فتحت عيناي و أنا رضيع لأرى أمامي امرأة كبيرة السن، سمراء البشرة، رثة الثياب، ما زالت طيات وجهها العجوز تحتفظ بما تبقى من جمال شبابها ،ملامحها تدل على أنها تواجه معركة فاشلة ضد الحياة. رغم أنها تعيش في منزل صفيح قابع وسط حي شعبي معروف بسكانه المختلطين إلا أنها كانت تبتعد عن الأنظار و تتجنب الجيران الفضوليين اللائي حاولوا التدخل في حياتها مرارا وتكرارا، لكنها كانت تصدهم في كل مرة و تحجز نفسها خلف سور الوحدة بعيدا عن الأعين المفترسة .

لم تكن أمي وحيدة ،لقد كنت أنا البذرة التي تخاف عليها حتى من أشعة الشمس، وكيف لبذرة أن تتأذى من شيء يساعدها على النمو؟ ،و كيف لي أن أتأذى من الموجود خلف الباب؟

((يا بني، لن تجد في العالم الخارجي غير الظلم و القهر... أميري الصغير يستحق حياة أفضل من هذه و أمك ستوفر لك كل شيء))

هذه كانت كلماتها التي كانت تحاول تهدئتي بها كلما تمردت و أردت الخروج من الظلمة إلى النور، تختمها بعناق دافئ ينسيني سبب تمردي على نبع الحنان .

في منزل مكون من غرفتين كنت أحاول صنع قصري و اللعب بمفردي ،ربما التظاهر بأنني أمير أحيي الناس خلف أسوار قلعتي سيخفف علي الوحدة ... و ربما الجوع كذلك ،لم يكن ذلك الخبز القاسي كافيا ليسد جوع طفل صغير، لكن هذا لم يمنعني من الإبحار بخيالي على قارب الأمنيات نحو اللاشيء ... نعم اللاشيء ،لم يكن عقلي الصغير قادرا على تخيل شيء لم يره قط.

أمي أو كما أحب مناداتها في سري "بصيص أملي" لقد كانت كذلك فعلا ،لولاها لما كنت أتنفس ،بسببها أتشبث بحبل النجاة المتآكل المدعو بالحياة.

منذ تعرفت على هذه الحياة الغير مرغوب فيها، لم أرى غيرها ، على الأقل عن قرب ،فباقي الوجوه التي ألفتها كانت مجرد صور عابرة من ذاكرتي التقطتها من نافذة منزلنا الصغيرة ،مصدر النور الإلهي الوحيد الذي لطالما أخذني إليه ذلك الكرسي العالي الذي يساعدني على الوصول إلى العالم الخارجي ،حتى ولو وراء القضبان الحديدية المزخرفة ، كنت أراقب الأطفال يلعبون بالكرة ،يلطخ الوحل ثيابهم و وجوههم ،تزين ملامحهم ابتسامة بريئة لطالما افتقدتها، في الجانب الآخر كانت تغني مجموعة من النساء و يبدو أنهن يستمتعن بتنظيف الملابس داخل تلك الأوعية الكبيرة البلاستيكية و إن لم يفعلن فغيرهن من النساء يفردن القمح أمامهن و يتحدثن لخداع الوقت و الفوز بعمل سريع ،و على الجانب المقابل تتكون الأسئلة في ذهني ،رجال كل منهم يحمل كيسا بلاستيكيا يستقبلهم الأطفال بقبلة على اليد.

هذه المشاهد خلف شاشتي الصغيرة تجعلني أطرح أسئلة على نفسي قبل التوجه إلى منبع الحنان من أجل الحصول على توضيحات تسد الثقب الذي تتسرب منه

شكوكي ،كانت أمي بارعة في التلاعب بالكلمات ، لطالما استهدفت براءتي و قلة فطنتي كسلاح ضد أسئلتي التي من الواضح أنها تسقطها في مثلث برمودا، كلما حاولت الهروب منها ،كلما ازداد تورطها. في النهاية استسلمت لحقيقتي ،أنا طفل وحيد ،جائع ،بردان و بدون أب ،لكنني سأبقى صامدا طوال الوقت بجوار بصيص أملي.

☆☆☆☆☆☆☆☆

دقات الباب العنيفة كانت كفيلة بإيقاظنا من سباتنا مذعورين. وقفت أمي و أخذت تتمشى يمينا ثم شمالا في حركة دالة على التوتر ،لم أفهم ما يحدث حينها ،كنت أتابع حركاتها بعينين قلقتين ،جالسا في ركن الغرفة على الأرض ،متكئا على الجدار البارد، أنتظر ما سيحدث.

استدارت أمي ناحيتي بعد أن أدركت عدم الجدوى من الانتظار، كان يزداد الأمر سوءا كل ثانية ،ضجيج الباب

الحديدي المهترئ يتعالى كلما طال انتظار الشخص ورائه معلنا أنه لن يبرح مكانه حتى يتلقى الجواب .

حملتني أمي بحنان و ضمتني إلى حضنها ثم توجهت بخطوات متباعدة نحو الخزانة ،وضعتني بهدوء مشيرة لي بالدخول خلفها و عدم إصدار أية ضجة، نظرت إلي بعينين تذرف دموعا لم أفقه سببها، ربما لأن شيئا ما دخل فيهما ،كما كانت تقول لي دائما عندما كنت ألتقط دمعتها المنسابة على خدها .بعد ثوان من التأمل في ملامحي احتضنتني بقوة، أحسست بألم شديد يجتاح قلبي، لم يكن هذا حضنا دافئا كعادته بل كان علامة دالة على الألم و المعاناة و كأنه عناق وداع. بحركة دالة على الصمت، ابتعدت و تركتني وحدي لأواجه شبح الخوف الذي اجتاح صدري .

قشعريرة غريبة تملكتني عند سماعي صوت صراخ رجل مقابل همهمت أمي ،ذبذبات صوتهما تدل على حرب بين النار و الماء ،كان الرجل الغريب يمثل النار بينما أمي تواجهه كقطرات ماء ،قوتها لم تكن كافية

لإخماد لهيب صوته الغاضب. أضاءت وجداني فتيلة شجاعة دفعتني للخروج من مخبئي ،أوليس على الأمير الصغير أن يحمي رعيته ؟ ،لم يكن يجب علي ترك أمي وحدها أمام رجل غريب يدس كرامتها أرضا أمام مسمع مني أنا ...ابنها الصغير الذي لطالما حفظته من شر الخلق في قلعة حصينة ،لا يمكن لأحد تخطيها ،ألا وهي حضنها الذي كان ملجئي وقت الضيق ،ها أنا الآن أحس بواجب تجاهها ،أحس بشرارة غضب نحو من انتهك حرمتنا. قد لا أكون مفيدا لكنني سأكون معها لأحاول حمايتها و لرد الجميل.

خرجت من باب الغرفة المقابل للحرب المشتعلة ،أسرعت دون تفكير و أمسكت الرجل العملاق من قميصه الكلاسيكي الدال على أناقته .محاولة إبعاده عن أمي انتهت بفشل فضيع ،لم يشعر الغريب بأي قوة طاغية عليه ،كنت بالنسبة لضخامته كنملة تحاول إبعاد ذئب عن طريقها .

لمحتني أمي قبله بلحظات فتغيرت ملامح وجهها من القلق و الحزن إلى الرعب ،تجاهلت صراخه المستمر

و اتجهت نحوي مسرعة ،أخذتني بين ذراعيها و ابتعدت عن الرجل الغاضب قدر الإمكان ،سمعت دقات قلبها المتوالية ترقص على أنغام التوتر و أحسست بذراعيها تعصرني فأدركت آن ذاك أنني في ورطة حقيقية .بينما جمجمتي غاصت بين طيات ثوبها ،كنت أبكم ،أعمى لكن حاسة السمع تلتقط كل حركة متجهة نحوي ،أو بالأحرى نحونا. أمسكني من ذراعي بينما حاولت جاهدا التمسك بثوب أمي التي كانت تضمني إلى صدرها بقوة ... لكنه انتصر، أخذني بين يديه رغم مقاومتي و صراخي ثم دفع أمي حبيبتي أرضا و أخذ يهددها دون رحمة.

تبعت أمي السيارة السوداء دون جدوى ،كنت أصرخ و أحاول الاستغاثة عن طريق ضرب زجاج نافذة السيارة لكن ما من معين، بينما انطلق الرجل العملاق محاولا إبعادي قدر الإمكان عن بصيص أملي التي سقطت بعد تعثرها في بركة وحل أدت إلى إعاقة حركتها ،نحيبها لم يكن كافيا لزحزحة القشرة السوداء التي تغطي قلب العملاق و التي تدعى بالقسوة .

حاول الرجل تهدئتي طول طريقنا نحو المجهول، لكن

بكائي كان الشيء الوحيد الذي يقطع صمت الليل المظلم، لن يستطيع إسكاتي بهذه السهولة .

التفاتة خاطئة مني نحو النافذة أجبرتني على كفكفة دموعي و الاطلاع على الجانب الآخر من الحياة ،لم يكن هذه المرة منظر أطفال يلطخ ثيابهم الوحل على إثر اللعب المستمر ولا نساء تفرد القمح بعفوية ،لم تكن نفس نافذتي الصغيرة ،عالم آخر مختلف بكثير عن العالم الذي احتفظت به داخل صندوق ذاكرتي .أول ما أثار فضولي و أسكتني غصبا عني هو النور الذي يعم المكان ،الكثير من الأضواء ،بدى لي في بادئ الأمر أني أعيش حلما ،و كيف لي أن أفرق بين الواقع و الخيال و أنا ذلك الأمير الصغير الذي لطالما عاش على الظلمات ،لم أعرف يوما ضوء غير أشعة الشمس التي تتسلل من نافذتي الصغيرة.

بؤبؤ عيناي تعب من الجري من اليمين إلى اليسار في محاولة لمجاراة سرعة تحرك السيارة مع ظهور مشهد جديد .يا لها من مناظر غريبة! ،النساء هنا يلعبن عدة أدوار لا علاقة لها بالتقاليد ،بل يبدو أنني انتقلت إلى عالم أجنبي لا تقاليد له .

أغلب النساء يرتدين فساتين براقة ،يطلقن ضحكات متتالية مع التلاعب بشعرهن و كأنهن يظهرن أنوثتهن ليلا دون مراقب و بعيدا عن أصابع الاتهام ...ماذا سننتظر بعد منتصف الليل غير تسلل ثعابين الفاحشة لتنعم ببعض الحرية.

تباطأت حركة السيارة عند ابتعادنا عن الأنوار و دخولنا في حقل من الظلمات .كان المكان هادئا جدا بالمقارنة بما رأيته سابقا ...على الأقل ابتعدت عن ذلك العالم البشع رغم تطاول بنيانه و رقي مظهره.

توقفت السيارة بهدوء أمام منزل ضخم ... نعم كان ضخما بالنسبة لي آن ذاك بالمقارنة مع منازل حينا القصيرة.

أخرجني العملاق من السيارة بحنان ،و كأن الشخص الغاضب الذي اختطفني لتوه تحول بشكل مفاجئ إلى رجل لطيف حنون .وقفنا لثواني قليلة أمام باب حديدي أسود يفتح من جهتين ،الزخرفات التي تزينه ذكرتني بقضبان نافذتي الصغيرة.

عبرنا ممرا حجري يتوسط حديقة خضراء تفوح منها

رائحة البرتقال ،ما ذكرني برائحة بيتنا الصغير ،لطالما كانت أمي تجمع قشر البرتقال و تطبخه من أجل إضفاء جو طبيعي مع رائحة زكية إلى المنزل .

دقات خفيفة على باب أبيض اللون كانت كافية لتفتحه امرأة نحيلة الجسم ،بشوشة الوجه ،ثيابها لا تدل على غناها أكثر من خدمتها لشخص ما.

- مرحبا بك في منزلك يا سيدي.

كلمات الاستقبال أكدت لي شكوكي السابقة، إنها فعلا خادمة العملاق.

تقدمت أمام العملاق في ذهول ،تركته ورائي ينزع معطفه و قبعته ليقدمهما للخادمة بحركة اعتيادية. تقدمت بخطوات صغيرة نحو النور ،ثريا عملاقة تتوسط المنزل ،غبت للحظات عن الواقع في حين أخذني عقلي إلى صندوق أحلامي ،لم أتوقع يوما أن يكون هناك مكان أحسن بكثير من منزلنا ،عقلي الصغير محصور بين منازل الصفيح و البساطة، هل يعقل أننا كنا نعيش في كذبة طوال هذه السنين ؟، عشت طوال ثمانية سنوات بين أربعة جدران مهترئة،

أتضور جوعا و أرتعش بردا معظم الأحيان، كنت أعتقد أن جميع من يسكن كوكبنا يعيش نفس حياتنا ...أو ربما أسوء، وها أنا الآن أمام مدينة الأنوار ،هذا ما أخبرني به عقلي المحدود، لا يمكن أن يكون هذا منزل لأشخاص عاديين ،أكيد هذه مدينة أو ربما ... ما زلت نائما في أحضان أمي ،أحلم .

- مرحبا بك يا صغيري

صوت أنثوي عذب أيقضني من سهوتي ،اقتربت مني بفستانها الفضفاض السماوي اللون ،و أكملت كلامها :

- تبدو متعبا ... هيا بنا ،يجب أن ترتاح قليلا ،و لنترك أمر استكشاف المنزل غدا

تزامن انتهاء كلامها مع امتداد يدها البيضاء الناعمة إلي ،تأملت للحظة طلاء أظافرها الراقي ما يدل على أنها صاحبة المنزل ... طبعا ليست واحدة من الخدم فهي تبدو مختلفة تماما عن باقي النساء اللائي عرفتهن إلى حد الآن... و لو من بعيد.

التفت ناحية العملاق الذي كان يراقبنا في صمت ،

تقدم بضع خطوات بثبات ثم قال بنبرة جدية:

- كن مطيعا !

طأطأت رأسي في حيرة ... أنا محاصر بين العملاق و الفتاة ،كيف أستطيع الهرب من هذا المنزل ؟

أمسكني العملاق بهدوء و ضمني إلى صدره محاولا زرع الطمأنينة في فؤادي ... مسكين ،لا يعلم أنه سبب تلاشي هذه الطمأنينة ،لقد أخذني من بين ذراعي أمي، وها هو الآن يحاول إعادة تركيب قلبي المكسور ... بعد دقائق من التفكير ،غفوت على صدر مختطفي.

استيقظت من سباتي على إثر صوت رقيق يقول بهدوء:

- صباح الخير يا صغيري

فتحت عيناي بصعوبة لاكتشاف المتكلم... امرأة ترتدي نفس ملابس السيدة التي استقبلتنا ،لكن ملامحها مختلفة إلى حد ما .اقتربت مني بهدوء بعدما تأكدت من استيقاظي ثم قالت:

- هناك من ينتظرك في الأسفل ،انهض من فراشك يا صغيري

رمقتها بنظرة غاضبة ثم وليت ظهري إليها متجاهلا كلامها ،مما جعلها تقول بهدوء مصطنع:

- أنا هنا كي أساعدك على الاستح...
- لا أريد مساعدة، شكرا

قاطعتها بنبرة حزينة ،حقا لا أريد أن يساعدني أي شخص عدى أمي الحبيبة ،لطالما كانت تضعني داخل وعاء بلاستيكي كبير و تساعدني على الاستحمام بماء شبه دافئ، لا يهمني أمر البرد الآن أكثر من أمي ،لا أريد حياة كهذه مليئة بالمفاجآت.

- حسنا يا صغيري ،كما تريد ... لقد جهزت الحمام من أجلك ،أسرع فهناك من ينتظرك .

غادرت الغرفة فور إكمالها عباراتها و كأنها فقدت الأمل في الحصول على إجابة و اعتادت على أن يبقى كلامها معلقا في الهواء، أما بالنسبة لي فمرت كلماتها الأخيرة على فؤادي كالصاعقة ...شخص ينتظرني ،أكيد ستكون أمي ... لقد جاءت لتعيدني إلى حضنها .

ترجلت من على السرير الناعم ،وقفت مصدوما بما رأت مقلتاي ، أيعقل أن تكون كل هذه الأشياء موجودة في الواقع ... أكيد ليس حلم ،أنا متأكد هذه المرة أنني مستيقظ ،كيف يعقل أن يحجزني مختطفي في غرفة كهذه... ذلك سرير على شكل سيارة زرقاء رائعة و علاوة على ذلك لم يكن أي سرير لقد كان ناعما للغاية... أحسن بكثير من الفراش الصلب الذي كنت أتشاركه مع نبع الحنان.

اقتربت من النافذة الكبيرة التي تحتل ربع الحائط ،كانت الستائر الرمادية تحجب أشعة الشمس... ابتسمت للحظة و أنا أتأمل الستائر الطويلة ،عقلي الصغير يرغم علي مقارنة هذه الحياة الراقية بما كنت أعيشه طوال هذه السنين ،هل تدعى فعلا حياة ؟ تلك التي كنا نعيشها ... آه لو لم تكوني يا أمي ضمن تلك الحياة لدعوتها بالجحيم . صورة الستائر الممزقة و الجدران المهترئة تخيل إلي كلما رأيت هذا الرقي كله ،من الصعب وصف هذه الجدران التي تحيط الغرفة و من الأصعب مقارنتها بجدران منزلنا ....سيكون من الأسهل مقارنة حجم هذه الغرفة بحجم منزلنا .في هذه

الأثناء اكتظت الأسئلة داخل رأسي ،وأولها ،لماذا لا نعيش كباقي الناس؟

بخطوات هادئة خرجت من الحمام و رائحة الياسمين تملأ أرجاء المكان. وقفت للحظات أتأمل نفسي أمام المرآة ،لم أرتد يوما مثل هذه الفوطة الناعمة في حياتي ،كانت على شكل سترة على مقاسي .اقتربت بضعة خطوات نحو نفسي الأخرى المنعكسة على المرآة، وضعت يدي عليها بهدوء و كأنني ألقي التحية على روحي المفقودة ،أين ضميري و أنا أعيش حياة أخرى ... لقد نسيت أني مخطوف !!! هيا أصرخ، أطلب النجدة، و عد إلى أمك ...ما بك يا صغير نسيت أمك بين ليلة و ضحاها ؟ نفسي تصرخ داخلي "مخطوف استسلم لمختطفه" روحي تحاول تأنيبي على دمعة لم تذرف و على صرخة لم تسمع ... لكنني أبكي ،روحي تبكي و تصرخ بكل ما أوتيت من قوة، و هذا الأمر أكثر ألما من دمعة ظاهرة قد تكون مصطنعة و قد تكون صادقة .

ملابس كثيرة داخل خزانة الغرفة ،كلها تأكد لي أنني

أعيش في عالم مختلف تماما عن الصورة التي كونتها عن الحياة طول هذه السنوات... على الأقل هذه الصورة الجديدة التي ترسم كل دقيقة في ذاكرتي منيرة أكثر من سابقتها .

فتحت باب الغرفة معلنا خروجي من حرب بيني و بين عقلي .وقفت للحظة أتأمل الممر الطويل المليء بالأبواب .اتجهت نحو الدرج و عيناي الصغيرتان تتأملان كل التفاصيل التي تزين الجدران ،نقوش تقليدية مع لمسة عصرية راقية .وصلت الدرج الذي يتوسط الممر اللامع أرضيته ،أذهلتني الأشكال المنقوشة على القضبان الخشبية المحيطة به.

نزلت الدرج في حذر ،لأجد أمامي مساحة كبيرة، رفعت رأسي إلى السقف العالي فلمحت الثريا اللامعة ... إنها الصورة التي التقطتها ذاكرتي بالأمس ،على الأقل أنا أدرك أني قريب بعض الشيء من الباب ،لدي فرصة للهرب!! هيا يا جسمي تحرك ،الباب أمامك الآن، أهرب !!!

- ها أنت ذا ،لقد تأخرت كثيرا !!

رفعت رأسي نحو صوت الخادمة التي بدأت أعتاد عليه، لقد قاطعة محاولتي اليائسة في الفرار من هذا ال....النعيم !

دخلت غرفة الطعام و عيناي تبحثان بين الموجودين عن وجه اشتقت له .وقف العملاق بعد دخولي ثم وجه كلامه للخادمة :

- **شكرا لك ،يمكنك المغادرة**
- **حاضر يا سيدي**

التفت إلى باقي الخدم منهم رجال و نساء ثم قال بنبرة حازمة:

- **لم نعد بحاجة لشيء بعد الآن ،يمكنكم الانصراف**

طأطأت رأسي في حزن لما تأكدت من عدم وجود أمي بين الحضور ،لم يتبقى الآن سوى أنا و العملاق و فتاة البارحة. رفعت رأسي نحو العملاق ثم قلت بهدوء:

- **أين أمي ؟**

حاول تجهلي بصمته الذي دام ما يقارب دقيقة ثم أجاب بصعوبة واضحة:

- لن تحتاجها لطالما بقيت في هذا المنزل يا صغيري ،والآن كفى ثرثرة و دعنا نتناول الطعام.

أخذني إلى المنضدة الطويلة ثم جلس على رأسها الأيمن مقابلا للفتاة بالجانب الأيسر التي كانت تراقب الحديث بهدوء، لم تتغير ملامحها بين الأمس و اليوم، لازالت جميلة بذلك الشعري الذهبي الذي يغطي كتفيها، مع بشرتها البيضاء التي توحي أنها أجنبية لا محال .

وجهت نظري نحو المنضدة المليئة بأشهى المأكولات، هذه حلوى فراولة لذيذة و هذه فطيرة تفاح لا تقاوم، هناك المزيد من الأطباق لكن أغلبهم كان كقطع "بازل" مفقودة من لعبة لغز ذاكرتي... عسل و زيت زيتون، شيئان لا يمكنني نسيانهما ... وكيف لي أن أنسى كل الانتظار الذي قد يدوم شهرين للاستمتاع بلذة العسل و زيت الزيتون .كم كنت أشعر بالسعادة عندما ألمح خلف قضبان نافذتي ذلك السيد المعتاد يتقدم نحو بابنا مع أكياس مليئة بالخضروات و الأطعمة التي تكفينا لمدة شهر أو أكثر مع الحرص على الاقتصاد على كل ما يدخل الفم ،لا يجب أن نشبع بل يجب أن نعيش !!!

(٢)

في سيارة العملاق مجددا صعدت ،إلا أن هذه المرة اختلفت عن سابقتها... أنا فقط صعدت برغبتي ،صعد العملاق بدوره تلته الفتاة ،كانا يتحدثان بهدوء :

- يبدو أن الفتى لن يعتاد على المنزل بسهولة يا عزيزي.

- لا تشغلي بالك ،سيعتاد مع مرور الوقت ... المهم أنه معي الآن

- هل تعلم أنه رفض المساعدة على الاستحمام هذا الصباح

- أفضل أن يعتمد على نفسه من أن يعتمد على الخدم

- معك حق

ظلت كلماتها الأخيرة معلقة بالهواء دون إجابة.
استدرت ناحية النافذة لإلقاء نظرة على العالم الصباحي، يبدو أن ما رأيته أمس اختفى ،صورة أخرى تضاف إلى ذاكرتي ... ليست مجرد صورة ،بل درس كذلك ، "لا يجب أن نحكم على الشيء من النظرة

الأولى " ،جملة لن أنساها طوال حياتي .في بادئ الأمر ظننت أن مختطفي سيعذبني و ربما سيقتلني ،لكن لم يمض الكثير من الوقت حتى اكتشفت مدى طيبة قلبه و ها أنا الآن استسلمت جزئيا له ... لولاه لما اكتشفت أن العالم يتمتع بعدة وجوه :

- **الوجه الأول: الفقر**

أناس تعيش حياة بسيطة جدا ،في محبة و ود ،رغم أن منازلهم من صفيح و أكلهم محدود لكنهم يعيشون في سعادة، لطالما تجد الفقير مبتسما رغم قساوة الحياة عليه.

- **الوجه الثاني : الليل**

كرهت الليل بنسائه و رجاله، بشر يخرجون ليلا لاصطياد الفرائس ،و في الليل تمثل الأنثى دور الفريسة و الرجل دور المفترس و يتبادلان الأدوار أحيانا ،و ذلك يعتمد على المال أو الجمال ... لم أرى من الليل سوى جزء لا أريد إعادة مشاهدته لكنني لن أنكر جمال سمائه و هدوئه .

• الوجه الثالث : الغنى

أناس يعيشون كالملوك لكن سعادتهم محدودة، رغم أنهم يتمتعون بكل مقومات العيش ،لكن مشاكلهم تتزايد مع تزايد ثرواتهم ... يستعملون الفقراء لخدمتهم و ينسون أننا كلنا بنو آدم.

•الوجه الرابع : الصباح

يحمل في طياته كل الجمال و الرقة ،شمس تدغدغ وجوه الناس الطاهرة قلوبهم ،لما لا تكون طاهرة و أغلب المتجولين عائلات ... سيدات بعضهن ترتدين الحجاب دلالة الوقار و بعضهن تسدلن شعرهن على الأكتاف ،مظهر مختلف لكن التعامل واحد ... أمومة جميلة تجبرك على نسيان المظهر الخارجي الأنيق و التركيز على الضحكات الطفولية و المشية الغير متوازنة ... أما الرجال فيلعبن دور رجال الأعمال تارة و دور متقاعد يقتل شبح الملل برقعة شطرنج ... صديقتي الشمس التي لطالما زارتني من شباكي الصغير ها هي الآن ترحب بي بحرارة دافئة أحببتها.

لم أنتبه لتوقف السيارة أكثر من انتباهي للمنظر

أمامي، عدة أطفال يركضون بمرح نحو مبنى عال نسبيا تغطيه ألوان متناسقة تظهر ثناياه و تفاصيله .

- أهلا بك سيد نجم ،كنت بانتظارك !

تقدم رجل طويل القامة ،بدين الجسم يبدو من مظهره أنه ينتمي للوجه الثالث للعالم ،ثيابه الرسمية تضفي عليه احتراما خاصا ،أكمل كلماته و هو يمد يده نحوي:

- سأصطحبه للتعرف على المكان ،لا تقلقا بشأنه... يمكنكم العودة بعد ٤ ساعات من الآن .
- من فضلك، لا أريد أن يبدأ دراسته اليوم ... لقد جئت به فقط للتعرف على المكان لا غير !
- حسنا يا سيدي ،كما تريد

سكت لبرهة و كأنه يحاول استرجاع كلمات مفقودة ثم قال بعد أن رسم على وجهه ابتسامة خبيثة :

- لكن يا سيد نجم، كما تعلم ... سيكون من الصعب إدخال الطفل للمدرسة و نحن في نهاية شهر يناير

حرك العملاق رأسه في تفهم ممزوج بغضب حاول إخفائه ثم قال بصوت واثق:

- سأدفع ثمن كل الأشهر السابقة يا سعادة المدير... و ليكن في علمك أني تحدثت سابقا مع صاحب المدرسة .

بدى الإحراج واضحا على وجه المدير الطماع ،رفع رأسه المتعرق و قال بتردد :

- حسنا... حسنا يا سيد نجم ،يمكنك الانتظار١٥ دقيقة ،سأعرف الطفل بالمكان و أسلمه لسيادتكم
- ليس لدي وقت لكي أقضيه في الانتظار... زيادة على ذلك ١٥ دقيقة غير كافية بالنسبة لي ،أريد أن يكتشف الطفل المكان بتفاصيله ، أظن أن كلامي واضح أليس كذلك ؟
- نعم يا سيدي

توجه العملاق لسيارته و كلماته الأخيرة تقول:

- بعد ٤٥ دقيقة !!

ثم اختفى داخل سيارته بعد أن رمقني بنظرة تبث الطمأنينة في القلوب و ابتسامة لطيفة عنت لي الكثير .

دلفت المبنى ممسكا بيد المدير الذي رسم وجها عبوسا على ملامحه فور مغادرة السيارة .اتجه نحو سيدة

متوسطة الجمال ،تخفي التفاصيل التي رسمها الزمان على وجهها بمستحضرات تجميل في محاولة منها للتغلب على عامل الكبر و التشبة قدر الإمكان بحبل الشباب مخافة الوقوع في نهر الشيخوخة . حديث غير مفهوم دار بينهما ،لا تتعدى مدته ١٠ ثوان، كان كافية لتحرك السيدة رأسها علامة الموافقة و تتقدم نحوي مع ابتسامة لا تكاد ترى .

- تعال معي يا بني سنكتشف المكان معا ... هل ذهبت من قبل إلى المدرسة ؟
- لا.

أجبتها بخجل و عقلي الصغير يجبرني على تذكر كل تفاصيل الظلمات التي كنت أعيشها ،لماذا أصرت أمي على جعلي جاهلا طوال حياتي ؟

نظرت إلي من خلف عويناتها في حيرة ثم تقدمت أمامي مشيرة لي باللحاق بها .تعلقت نظراتي على كل الرسومات الطفولية القابعة على الجدران ،أرضية رسمت عليها أشكال هندسية ملونة .كانت السيدة تتحدث لكن أذناي أبتا السماح لصوتها بالولوج لعالم

رأسي ،فتربعت الذاكرة بأنانية على عرش العقل تحاول حفظ أكبر عدد من الصور داخلها لتعرضها علي و تؤنس وحدتي فيما بعد.

- يا صغير، هل تسمعني ؟

أيقظتني كلماتها الأخيرة من سهوتي ،رفعت عيناي نحوها في تردد واضح و قلت بصوت لا يكاد يسمع :

- أنا فقط... شردت قليلا لا غير
- قليل أدب و عديم تربية ،هل تعلم مع من تتحدث ؟
- لكنني لم أقل شيئا خاطئا

حملقت في وجهها الشرس لبضع ثوان في انتظار إجابتها ،لكنها عدلت وزرتها البيضاء و سعلت كأنها تتراجع عن كلامها ثم همهمت بكلمات متقطعة فغيرت ذبذبات صوتها العنيف قائلة :

- حسنا ... لقد أنهينا رحلتنا

نظرت إلى ساعة يدها في ارتياح واضح و قالت :

- في الوقت المحدد !

خرجت من المدرسة لأجد الفتاة تنتظرني وحدها أمام

سيارة مختلفة عن سابقتها ،حمراء تزينها بعض الرسومات التي تظهر أن مالكتها أنثى بلا شك . تقدمت نحوها و عيناي الصغيرتان معلقتان بابتسامتها الرقيقة، فتحت لي الباب الخلفي كأنني أمير تحت خدمتها ثم دلفت بعدي ،عدلت المرآة لتتمكن من تتبع حركاتي ثم قالت :

- **كيف كان يومك الأول في المدرسة؟**

طأطأت رأسي في إحراج ،ثم أكملت و كأنها ترد على حركاتي الطفولية :

- **لا داعي للخوف يا صغيري... نحن نحبك و لن نؤذيك أبدا**

سكتت لبرهة و كأنها تبحث عن كلمات مناسبة لقطع الصمت المربك ثم قالت بمرح طفولي :

- **ما رأيك أن نقضي اليوم بعيدا عن المنزل ؟... سيعجبك الأمر !!**

خرجت من السيارة ثم أغمضت عيناي أستنشق هواء منعشا يحمل رائحة لا يمكن وصفها ،صوت غير

مألوف ينتشر صداه أرجاء المكان ،أمسكت بيدي بعد أن تأكدت من إغلاق سيارتها ثم تقدمنا نحو الأمام بخطوات هادئة ... الصوت يزداد في كل خطوة ،و قلبي يخفق بشدة شوقا لرؤية من بث فيه إحساسا لا يوصف ... رمال كالتي توجد بالصحراء و هي أسمك بقليل، بالتأكيد أعرفها ،لقد رأيها من قبل على صور المجلات التي كانت تحضرها لي أمي لأصنع منها قبعة و سيفا ورقيا و ألعب دور الفارس المغوار ،لكن فضولي كان يدفعني لتصفحها قبل الشروع في تشكيلها .

و حيث هناك رمال ،و نسيم عليل هناك بحر .عبرنا الممر الخشبي القابع وسط الرمال ثم في نهايته توقفنا، كنت أنتظر إشارة من الفتاة كي أترك كل شيء ورائي و أعدو و الرياح تتخاطفني .أزالت الفتاة كعبها العالي و فعلت المثل ثم تقدمت خطوة واحدة و استدارت نحوي و قالت بمرح :

- لنرى من سيصل أولا إلى المياه !!

ثم بدأت بالهرولة ثم تبعتها محاولا الانتصار عليها. وصلت المياه قبلها و احتفلت بطرقتي الخاصة

فأعانتني بهتافها و تصفيقاتها و كأني فزت في مسابقة دولية ،بعدها بدأت برش بعض قطرات المياه علي و الهروب في محاولة لاستفزاز حس الطفولة الذي افتقدته.

☆☆☆☆☆☆☆☆☆

فتحت باب غرفتي بعد يوم حافل ،لم أستمتع بحياتي بهذا القدر من قبل. استلقيت على السرير واضعا يداي خلف رأسي ،حاولت عدم تذكر أي شيء سيء من ذاكرتي و أطلقت العنان للجانب الطاهر المتبقي من ذكرياتي المخربة ... في نهاية المطاف أنا أعيش ما أستحق عيشه ،هذا قدري ... لكن ،ما زلت أحتاج أمي!!! ،لماذا نسيتها بهذه السرعة يا هذا ؟! ،إنها أمك نعم .. أمك و ستبقى كذلك سواء شئت أم أبيت ،هي من حملتك تسعة أشهر و ربتك لمدة ثمانية سنوات ،كانت الدرع الحامي الذي يردع عنك كل مصيبة !! ،أ نسيتها بهذه السرعة ؟؟ ... لما يا ضميري تقسو علي كلما حاولت الابتسامة، ألم نتفق يا ذاكرتي أننا سنخصص

هذه الدقائق لجانبك المضيء؟ هل كان من الضروري إيقاظ ضميري بهذه التساؤلات؟ .... دعك من هذا يا نفسي و لنتذكر ولو مرة مدى جمال هذا المكان و مدى رقة تعامل العملاق و زوجته ، و كذلك الخدم رغم أني أتعامل معهم كأني واحد منهم لكنهم يكنون لي احتراما لا مثيل له .

طرقات قليلة على باب غرفتي ،تلاها دخول الخادمة بابتسامتها المعتادة :

- سيد نجم ينتظرك بالمكتبة يا صغيري

توجهت نحو المكتبة مهرولا، ثم فتحت الباب فإذا بي أجد العملاق جالسا على مكتبه منشغلا ببعض الملفات و الأوراق بينما الفتاة تجلس فوق الأريكة المقابلة له تقلب صفحات كتاب ما. تقدمت للأمام بعد أن أغلقت الباب خلفي، تأملت الرفوف المليئة بالكتب الضخمة للمرة الثانية، لم ألاحظ في جولتي الأولى مع الخادمة ذلك الضوء البرتقالي الذي يضفي على المكان لمسة هادئة ،ولا الأرضية الخشبية الراقية التي تجعلك تظن أنك انتقلت إلى مكان منفصل عن المنزل العصري،

ربما لم أتمكن من رؤية كل هذا الجمال و الرقي التقليدي الهادئ في جولتي الأولى لأنني كنت متعبا بعد نهار رائع في الشاطئ آن ذاك .

وقف العملاق بعد أن لاحظ دخولي ثم أزال نظاراته الطبية ،ثم تقدم نحو الكرسي المقبل لمكتبه و أشار لي للجلوس في الكرسي المقابل له ... تحركت في خوف و أنا ألتفت ناحية الفتاة ، لازالت ترشف قهوتها و تقرأ كتابها دون إبداء أي رد فعل .

- أ تعلم سبب طلبي رؤيتك؟

طأطأت رأسي خجلا ثم قلت و أنا أشبك أصابعي في توتر :

- لا أعرف يا سيدي .

ابتسم بسخرية بعد سماعه آخر كلماتي ثم قال :

- يبدو أن الأمر سيكون صعبا على كلانا

اعتدل في جلسته واضعا رجلا فوق أختها ثم أكمل كلامه :

- أول جواب يجب علي معرفته هو : هل يعجبك العيش بيننا ؟

احمرت خدودي خجلا من سؤاله و انقسمت مشاعري لفريقين ،جزء يخبرني أن هذه الحياة مثالية و لا يمكن لأي شخص أن يرفضها و جزء آخر يجيب منافسه بسؤال يصعب علي الإجابة عليه (ما قيمة الرفاهية دون أمي ؟).... رفعت رأسي نحوه ثم قلت في تردد:

- ارتحت كثيرا بينكم لكن ... لكن اشتقت إل....
- لا تقل لي أنك اشتقت لحياة الفقر و الذل التي كنت تعيشها !! هل تريد العودة لجحرك و تختبأ هناك طول عمرك ؟ ... هيا أخبرني يا فتى ،ألم تيأس من الفقر ،هل تريد تحقيق أحلامك في خيالك فقط؟؟
- لا ... لم أشتق أبدا لتلك الحياة و لا أريد العودة هناك ،أريد البقاء معكم هنا أرجوك
- خيرا قلت ... و اختيارك موفق ،ما دمت جزئا من المنزل فأنت جزء من العائلة !!
- هل لي أن أسأل سؤالا ؟
- تفضل .

- لماذا أنا من دون كل البشر ،لماذا اخترتني أنا من دون أطفال الحي ؟
- سأؤجل جواب هذا السؤال لوقت آخر ... هل لديك أي سؤال آخر ؟
- أ..مي ؟

تغيرت ملامحه الجدية لتكون لوحة غاضبة ،رمقني بنظرة نارية ثم قال :

- لا أريد سماع هذا السؤال منك مرة أخرى !! ... اتفقنا ؟

صوت رقيق أتى من الجانب الأيمن للمكتبة ،سعلة خفيفة تلاها صوت كعبها العالي على الأرضية الخشبية اللامعة :

- اعتبرني أمك ابتداء من هذه اللحظة

اقتربت مني واضعة يدها على شعري ثم أكملت بحنان:

- اعتبرني أختك و صديقتك ،سأكون بجانبك و أفديك بروحي .

استدارت ناحية العملاق و قالة بصوت جاد :

- أعتذر على المقاطعة ... بعد إذنك ،سأذهب لأرتاح

حرك رأسه علامة الموافقة دون أن ينبس ببنت شفة ثم أعاد تركيزه لإكمال الحوار معي :

- أنت من عائلة نجم الآن ،أنا و نور و الخدم مستعدون للتضحية من أجلك ... لكن يجب أن تعرف أن هناك قواعد يجب عليك احترامها .

وقف العملاق و توجه نحو أحد رفوف المكتبة ثم مرر أنامله عليها و أكمل :

- عائلة نجم مثل هذه الكتب ،معروفة و تساوي الملايين ... و كذلك ..منظمة

حرك يده نحو أصغر كتاب و غير مساره ،ثم قال :

- أ يعجبك شكل الكتب هكذا؟

حركت رأسي يمينا و شمالا علامة النفي ثم أكمل مع ابتسامة صغيرة :

- رغم أن كل هذه الكتب منظمة إلا أن أصغرها "المبعثر" جعلها تبدو في نظرك غير لائقة .... أفسد تنظيمها و منظرها رغم صغره ... أليس

كذلك؟

- **نعم معك حق .**
- **لذا يا صغيري يجب عليك أن تلتزم ببعض الأحكام.**

تقدم نحو الباب ثم طرقه برفق و قال :

- **أولها ،نطرق الباب و نستأذن قبل الدخول لأي مكان .... ثانيا نتكلم بلباقة و احترام مع اثنين**

حرك أصابعه كأنه استعد للعد ثم أكمل :

- **النساء أولا و أكبرنا سنا ثانيا ... ثالثا لا نرفع صوتنا بهمجية و نتصرف برقي أمام الناس .**

تقدم نحو كتاب قليل الصفحات ثم قدمه لي و أكمل :

- **سلاحك بين يديك و هذا يجعلنا ننتقل للنقطة الرابعة ،لا تتخلى أبدا عن الكتب فسلاح الحياة العلم و لن تكون لك قيمة في أعين الناس ما دمت جاهلا فالعلم نور و الجهل عار .... هل لديك أي سؤال ؟**

حركت رأسي نفيا ثم قلبت الكتاب بين يدي ،كان

عنوانه واضحا ،لكنني لم أتمكن من قراءته بسبب جهلي للقراءة ... أخذ العملاق الكتاب من بين يدي ثم قال :

- كتاب "فن اللامبالاة" للكاتب مارك مانسون ... ستحتاجه فيما بعد ،احتفظ به !!
- أ يفترض بي ألا أبالي بالناس و أتجاهلهم ؟
- هذا مفهوم خاطئ للكتاب متداول لدى الناس ،أول شيء يجب أن تعرفه ... "لا تحكم على الكتاب من غلافه"!!

صمت لبرهة و كأنه يلتقط أنفاسه ثم أكمل مع ابتسامة جميلة :

- هذا الكتاب سيعلمك اللامبالاة من جانبها الجيد، عدم المبالاة بكلام الناس السيء عنك ،سيعزز ثقتك بنفسك و يساعدك على مواجهة مشاكل الحياة بطريقتك الخاصة ... يجب أن تتعلم كيف تقف بعد سقوطك !! .... هذه المكتبة ستكون لك ملاذا آمنا عند شعورك بالضيق ... فقط اقرأ كتابا!!

أدار وجهه نحو الباب ثم قال :

- أنهيت كلامي ،يمكنك الانصراف الآن .

وقفت ثم اتجهت نحو الباب بخطوات سريعة ...
أحسست بشعور غريب و لن أتحمل البقاء هنا أكثر .

- يا فتى !!

استدرت بهدوء ،أرتجف خوفا منه ...

- لقد نسيت كتابك .
- أشكرك .

أجابني بخليط نظرة صارمة ممزوجة مع حنان دفين ثم اتجه نحو مكتبه .

(٣)

صوت ضجيج يصدر من كل طاولة ،أحسست أنني غريب عن مجتمع الأثرياء ... نعم بطبيعة الحال، و هل سيرضى العملاق أن أدرس في مدرسة مع الفقراء أو على الأقل مع الطبقة المتوسطة .... لن يرضى شيئا كهذا أن يحصل .

دخل أستاذ اللغة الإنجليزية ،ليعم الصمت أرجاء القسم و ينتبه الكل لكلامه -ولو لم يقل شيئا- كان الرعب يتملك وجوههم كلما سمعوا اسمه، أستاذ "ماثيو لوكس " من أصل إنجليزي ... نعم يا سادة هذا الأستاذ مختار من نخبة الأساتذة من أجل تدريسنا وهكذا باقي الأساتذة ... من حسن حظي أنني استفدت كثيرا من الدروس الخصوصية التي كنت أتلقاها بالموازاة مع دروسي الاعتيادية، فقط لتدارك سنين جهلي و عدم التراجع إلى الوراء ... ما زلت طفلا لكن عقلي نضج بما فيه الكفاية، لولا إصرار العملاق على متابعة دراستي باستمرار لكنت اليوم أحاول إيجاد طريقة للتهرب من المدرسة ... و أبقى جاهلا طوال حياتي !! وطأ هذه الكلمة يؤلم قلبي و يجعلني أكافح لأصبح نورا لا عارا ... كي أصبح شخصا نافعا داخل مجتمع يفتقر

للعلم !!

☆☆☆☆☆☆☆☆

منزل جديد ،غرفة جديدة ... و عائلة جديدة هكذا بدأت قصة حياتي و هكذا أحرص على أن تنتهي ... لن أنساك يا أمي رغم كل هذا الانقلاب الذي أعيشه، حياتي كلها انقلبت رأسا على عقب ،كل السنين التي قضيتها معك تلاحقني أينما ذهبت، لن أستطيع نسيانك ولو حاولت !! ،ثري سأعيش و سأموت على حالي، لن أسمح للفقر بعبور جسر حياتي ولو جعلني هذا أضحي بكل ما أملك ... بصيص أملي ،حبيبتي و ملكتي، أنت كل ما أملك داخل ذكريات طفولتي البشعة ، أنت التي تنيرينها رغم كل ظلمتها ... فمتى سنلتقي؟ ... لدي كثير من الأسئلة أبحث عن إجابتها دون جدوى و أولها ،أين أبي ؟ مات؟ ،طلقك؟ ،تخلى عنك و عني؟... ما من شخص يستطيع إجابتي عن سؤالي غيرك يا أمي !! ،أسرعي في إيجادي قبل أن ينفجر قلبي من الحسرة على فقدانك !! عودي بسرعة ! و عند عودتك تأكدي أنني لم أعد داك الأمير الصغير

صاحب السيف الورقي ... لقد أصبح الأمير ملكا و بسيف غير ملموس يدعى العلم ،سجنت الأمير الصغير داخلي داخل قفص قلبي المحترق شوقا للقياك !

أطلت من باب المكتبة بعدما أذنت لها بالدخول ثم مع ابتسامة رقيقة نطقت كلماتها العذبة و هي تغلق الباب خلفها :

- **ليس من عادتك أن تبقى داخل المكتبة لوقت متأخر !!**

رفعت رأسي نحوها ،ثم أغلقت الكتاب ووضعته ببطء على المكتب قائلا :

- **أصابني الأرق ،هذا كل ما في الأمر ... لما أنت هنا ؟**
- **أردت أن أحدثك بشأن أمر مهم ... يخصك**

اقتربت منها بهدوء ثم أشرت لها بيدي ناحية الكرسي علامة الجلوس :

- **انطقي !!**
- **كما تعلم ... لقد أنهيت دراستك الثانوية منذ أشهر، لذا قرر سيد نجم أن تكمل دراستك خارج**

البلاد.

صمتت لبرهة و هي تنتظر ردة فعلي ثم أكملت بعد أن أجبتها بنظرات باردة :

- **لا أحتاج لأن أذكرك أنك فرض من عائلة نجم ... و تنص عادات و تقاليد عائلتنا كباقي العائلات الثرية على استكمال الدراسة خارج البلاد.**
- **هل لي أن أرفض ؟**
- **بالطبع لا !!**

زفرت بقوة ثم اتجهت للمكتب أطلع على بعض الأوراق المتناثرة بشرود ، إلى أن جاء صوتها من الجانب الآخر ليوقظني :

- **لن يكون الأمر بهذا السوء**

ضحكت باستهزاء ثم قلت :

- **أ هناك أسوء من مغادرة البلد الذي نشأت فيه نحو آخر مجهول ... ثم أدرس هناك كأنني واحد منهم !! ... و ماذا بعد ؟؟ تتركونني مرميا و تبعدونني عن وطني للمرة الثانية على التوالي ...حينها أبني حياة جديدة مع عائلة جديدة و أنسى مجددا أني عشت داخل جدران هذا المنزل**

أليس كذلك ؟؟

وقفت متفاجئة من كلامي ثم تقدمت نحوي و ضمتني بحنان ثم قالت :

- **لن يتخلى عنك أحد ،ستقض هناك ما يقارب ثلاث إلى خمس سنوات ثم تعود لتعيش بيننا كما كنت.**

نظرت إلى عينيها الخضراوان ثم قلت مع ابتسامة خفيفة :

- **شكرا .**
- **لا داعي للشكر ،هذا واجبي تجاهك كأم و أخت و صديقة أليس كذلك ؟**

ضحكة صامتة تسللت من بين شفتاي تلاها ابتعادي عنها بحركة لا إرادية ،فرغم أنها من ربتني أكثر من نصف عمري إلا أنها ستبقى أنثى ذات جمال لا يقاوم، أنثى تكبرني بعشر سنوات لا أكثر ... لذا وجب علي الابتعاد عنها دائما !!

- **حسنا أخبريني ما التخصص الذي اختاره لي السيد نجم أم أنه سيفاجئني بترك الاختيار لي ؟**
- **في الواقع ليس لدي أي معلومات بخصوص هذا الموضوع ... كل ما أعرفه أنك ستذهب قريبا ...**

ربما عند عودته من السفر سيكلمك و يوضح لك الأمر برمته

- آمل أنه لن يدخلني في جو من الرعب كعادته

ابتسامة ثم ضحكة أشبه بالقهقهة أبرزت سحر أسنانها البيضاء ،ثم أجابت و هي تحاول التغلب على ضحكها :

- استعد لأقوى فلم رعب و غموض ... لا مهرب منه
- متى سيعود ؟
- من عادته أن لا يتجاوز الشهر إلى شهريين في سفره ... لذا أظنه سيعود بعد أسبوع

اتجهت نحو الأريكة ثم اتكأت كأني أستعد للنوم و قلت:

- أنا في انتظاره !!

طأطأت نور رأسها في حزن ثم أجابت :

- لا أعلم كيف سأعيش من دونك !!
- أنا أيضا سأفتقدكم ،قلبي و عقلي سيكون دوما معكم ... لا تحزني ،سأعود و سنكمل حياتنا بمرح كما هي الآن

أكملنا حديثنا ،تارة نضحك و تارة نحزن... لم أعتقد يوما أنني سأنسى الجزء الأكبر من ذاكرتي و أحتفظ بالقطعة النادرة فيه، أمي ،التي اعتبرتني كأميرها نعيش الحلو و المر معا .... ها أنا الآن من عائلة نجم أعيش معها الحلو و الحلو معا ،لا يوجد هناك مر لدى الأغنياء ،هناك فقط حلو .... و الحياة لا تحتاج هذا الأخير ،اكثر من حاجتها للمر ،إذا اصطدمت في ظلامك مع حائط المشاكل فستتذكر في المرة القادمة أن تشعل النور أما إذا كنت تمشي دون اصطدام فستبقى في الظلام طيلة حياتك ... هذه هي الحياة المر حلو في بعض الأحيان !!

توجهت نحو غرفتي الجديدة .. نعم، لقد تغيرت منذ سنين لكنها لاتزال جديدة بنظري ،لم أعتد ذاك السرير الضخم بعد، ولا ذلك التلفاز العملاق الذي يشغل ما يقارب نصف الحائط ... و الشرفة، آه كم هي مذهلة، لطالما اعتدت على احتساء قهوتي المسائية فيها و التمتع بمنظر الأمواج الليلية التي تتسابق فيما بينها للوصول إلى الشاطئ و الفوز ببعض حبات الرمال الذهبية و التراجع مرة أخرى إلى المحيط ثم هناك تلك المنارة التي تضفي طابعا بحريا على الأجواء بضوئها

الأبيض المرتد، تبدو رائعة خصوصا لما يسدل الليل عباءته السوداء المرصعة بالنجوم البراقة ... شرفتي هي أنيستي في وحدتي بعد المكتبة ... هنا أقرأ رواياتي و كتبي و هنا أفكر في مستقبلي ... و هنا بالضبط أتذكرك يا بصيص أملي !!

(٤)

رنين هاتفي المحمول أيقظني من سباتي، بحثت عنه على الفراش كي أسكته و أغوص من جديد داخل عالم أحلامي ... لكن رنينه المزعج جعلني أضطر إلى فتح عيناي بصعوبة و فركهما لأتمكن من إزالة شبح النوم عليهما و البحث عن هاتفي الذي وجدته وحيدا مرميا على الأريكة يصدر اهتزازا مزعجا ،تقدمت نحوه بحركة بطيئة ... رمقت شاشته بتعجب ثم أجبت بسرعة قبل أن يغلق المتصل الخط بيأس بعد تأخري عن الرد :

- صباح الخير سيد نجم .

جاءني صوته الخشن من الجهة الأخرى قائلا :

- كم مرة أخبرتك بأن مناداتك لي بلقبي بشكل رسمي يزعجني !!
- آسف ... أنا فقط لم أعتد بعد يا سيد كمال
- المهم ... سأنتظرك في مطعم أليكس ،بعد نصف ساعة ... لا تتأخر !!
- لما لا نلتقي هنا ؟... أظن أن المنزل أحسن!!
- ستعرف عند مجيئك ،بدأ العد التنازلي !!!

ثم أغلق الخط ،اعتدت على تصرفاته الغامضة... لطالما فاجأني بخططه الناجحة ،كل خطوة يقدم عليها يدرسها من جميع الأنحاء ،حتى الأمكنة التي يختارها للقائي دائما ما تكون ذات معنى ... و كالعادة التأخر ممنوع ولو بثانية .

خرجت من المنزل ثم ركبت سيارتي ... من بين أفضل الهدايا التي قدمها لي "كمال نجم"، لكن كما قال آخر مرة ... هذه الهدية فريدة من نوعها لأنها ثمرة نجاحي و حصولي على شهادة الثانوية بميزة ممتاز.

وصلت في الوقت المحدد ،سلمت مفاتيح سيارتي لموظف المطعم المسؤول عن ركن السيارات باحتراف. دخلت بهدوء و كبرياء و عبرت السجادة الحمراء نحو الباب الدوار الزجاجي ثم وقفت ليستقبلني النادل و يوصلني إلى مكان السيد نجم .جلست أمامه بعد الاستئذان ثم حرك يده للنادل مع حركة اعتيادية تعني "كالعادة" ،بعدها وجه نظراته الصارمة نحوي و قال:

- **تخرت لمدة دقيقتين !!**
- **أعتذر ،لقد وصلت هنا في الوقت المحدد أظن أن مدة تأخري هي المدة التي قضيتها في الوصول**

إليك ،هذا كل ما في الأمر .

- هذا ليس عذرا جيدا يا فتى ... لن ينفعك حين تتأخر عن اجتماع أو موعد ما .. لذا، احذر !!
- أعتذر .
- حسنا، حسنا ...هل تعرف يا فتى أنك ما زلت في نظري ذلك الفتى الصغير الذي ربيته طيلة هذه السنين .. و كل شيء أقوله لك و ألزمك بفعله فقط لأنك تهمني و أريد أن أراك متفوقا ... دائما!!
- أتفهم تصرفك يا سيدي ... أقصد سيد كمال ... و أنا أحترم كلامك و أتصرف حسب نصائحك ،فأنت مثلي الأعلى .

تقدم النادل ليضع الكابتشينو مع قطعة حلوى أمامي و بعدها وضع كأس شاي و كعكة تقليدية أمام كمال ثم انصرف .ابتسم العملاق بعد أن لاحظ استغرابي ثم قال :

- بني ،أخي و صديقي ... يجب أن تعرف أن تقاليد عائلتنا تلزم على كل فرد منها استكمال دراساته العليا خارج البلاد... لذا يجب عليك فعل المثل

- هل لي أن أرفض ؟
- هذه الفرصة يتمناها غيرك بشدة ،و أنت بكل بساطة تفكر بالرفض ،بالطبع لن أقبل رفضك !!
- حسنا ... متى سأذهب ؟ و ما التخصص الذي ستختاره لي ؟
- أتمنى لو أستطيع اختيار تخصصك بنفسي لكنني سأدع الاختيار لك .

رمقته بصدمة حاولت إخفاءها ثم قلت بهدوء مصطنع:

- منذ صغري تمنيت أن أساعد الناس ،لذا سأختار أن أدرس الطب .
- خيرا قلت، وفقك الله في اختيارك إن شاء الله... لكن أريد أن أطلب منك طلبا صغيرا .
- طلباتك أوامر .
- أريدك أن تدرس شعبة تسيير المقاولات موازاة مع دراستك .
- حسنا ... سأفعل ،لكنني سأصب تركيزي أكثر على شعبة الطب قبل كل شيء .

هز رأسه علامة الموافقة ثم أشار إلى المنضدة قائلا :

- أظن أن هذا آخر إفطار معا ... بعدها ستنتقل من التقليدي إلى العصري ... ستنتقل من الشاي إلى الكابتشينو ... لكن لا تغرك المظاهر يا بني ،رغم أن هناك اختلافا واضحا بين عاداتنا و عادة الدول الأجنبية إلا أن وطنك سيظل عقدا حول عنقك يجب عليك الحفاظ على تقاليدك ،حتى لو ذقت الحلو من البلاد الأجنبية لا تنس أنك أصبحت رجلا بفضل مر بلادك .

اعتدل في جلسته ثم أكمل كلامه :

- تقاسمنا اللقمة معا و كنت أنت بالنسبة لنا نور المنزل و أضفيت على حياتنا جمالا خاصا، لذا سنشتاق لك بشدة ... و لن ننساك أبدا يا صغيري و أتمنى ألا تنسانا بدورك .
- طبعا لن أنساكم فأنا جزء منكم .
- المهم ... ستسافر غدا إن شاء الله إلى فرنسا، ستلتقي هناك برجل يدعى" أنور صالح " سيوصلك إلى شقتك المستأجرة و بعدها سأرسل لك بعض النقود الكافية كي تستطيع استئجار

سيارة جديدة و سأكلف نفس الرجل ليساعدك على التعرف على المدينة التي ستقيم بها و ستبدأ دراستك بعد أسبوعين .

- حسنا و هل سأبحث عن عمل لسد حاجياتي ؟
- بالطبع لا ،سأرسل لك مبلغا شهريا و يمكنك الاتصال بي إن احتجت إلى أي شيء .

وقف بهدوء ثم أرجع الكرسي إلى مكانه و قال :

- سأذهب إلى الشركة ،شهية طيبة .

ثم انصرف بعد أن وضع بعض الورقات النقدية على المنضدة .

آخر ليلة أقضيها داخلك يا غرفتي العزيزة ،سأشتاق إليك كثيرا ،ربما سأزورك بعد سنة أو سنتين و ربما سأغيب عنك أكثر من ذلك ،أنت من كنت تحزنين معي وقت ضيقي أحس بك حزينة ،كئيبة ... ووقت ابتسامتي أحس بك نشيطة ،مضيئة .

دقت الباب ثم دخلت بهدوء قائلة :

- السيدة نور في انتظارك يا أخي .

- شكرا لك .

أغلقت حقيبة السفر بإحكام ثم وضعتها قرب الباب ثم فتحت باب غرفتي و عيناي معلقتان بالحقيبة ،غدا سيكون يوما جديدا !!

نزلت الدرج ،أجل ،هذا نفس الدرج الذي نزلته عندما كنت مجرد مختطف ،مجرد طفل لا يعرف ما ينتظره وها أنا الآن أنزل نفس الدرج شابا يافعا له لقب، "نجم" و له حياة و بالخصوص له أسرة.

تقدمت نحو نور التي استدارت نحوي بابتسامتها المعتادة ما إن سمعت وقع خطوات قادمة ثم قالت بحزن :

- ستذهب غدا !!... هذا مؤسف حقا !
- سأعود لزيارتكم بين الفينة و الأخرى.
- لا أظن ذلك .
- ماذا تقصدين ؟؟
- لا أظن أنك يمكنك زيارتنا قبل استكمال دراستك... سيوفر لك كمال كل ما تريده و يمكنك إجراء اتصالات

ثلاثية الأبعاد معنا ،لكن العودة دون شهادة ممنوعة !!

تراجعت للخلف ثم قلت بعصبية :

- **لا تخبريني أن هذه الترهات قوانين و تقاليد .**
- **اخفض صوتك سيسمعك كمال!!**
- **فليسمع ! ليس من حقه سجني في دولة أجنبية... سأحتاجكم ،لن أتحمل البقاء دون عائلة ... مجددا .**

اقتربت مني ثم ربتت على كتفي و قالت :

- **لو كان الأمر بيدي لفضلت بقائك بيننا ،لكن كما تعلم ... كمال أصر على هذا الأمر !**
- **لماذا ؟؟ أعطيني سببا واحدا و أقنعيني يا نور .**
- **هو فقط يعتقد أن عودتك هنا من آن لآخر ستجعلك تشعر بالوحدة أكثر و بالحنين إلى الوطن .... و يوما ما سترفض العودة إلى فرنسا ثم تتخلى عن دراستك ... لذا فضل منحك كل ما تريد و تتمنى و تقضي سنوات دراستك دون عودة لتعرف أننا معك أينما ذهبت .**
- **هذا غير معقول !! سبب تافه آخر يجب أن أصدقه**

... هذا كله هراء ،أنا أحب دراستي و لن أتخلى عنها .

- أعرف أنك لن تتقبل هذا القرار بسهولة ، لكن .... ليس لديك خيار آخر ،سنكون معك دوما

ثم وضعت يدها على قلبي و قالت :

- هنا .

قبلت يدها بحنان ثم قلت :

- سأشتاق إليك يا ماما نور .

ابتسامة صغيرة رسمت على شفاهها أبرزت تفاصيل جمالها ،أبعدت عينيها في حيرة ثم قالت :

- لا داعي للرسميات يا فتى !!

صوت خشن قاطع حديثنا قائلا :

- لطالما كان الوداع مؤلما .

أفلت يدها ثم استدرت نحو كمال بهدوء ،اتجهت نحوه قائلا :

- معك حق ... الوداع مؤلم ... من حسن حظي أنني

سأودعكم قبل فراقكم ... أليس كذلك يا سيد نجم !!

طأطأ رأسه في حيرة ،لوهلة بدى عليه التوتر واضحا ،لكن سرعان ما استرجع صرامته و رمقني بنظرة جادة ثم ربت على كتفي برفق و قال :

- **رافقتك السلامة .**

بعدها انصرف دون أن يسمع كلماتي المدفونة ...نعم يا سيد نجم ما دمت تعلم جيدا أن الوداع مؤلم فلما فرقتني عن أمي دون سابق إنذار ،لم أستطع ضمها و لا إخبارها أنني سأعود يوما ما ، لم أستطع تقبيل يديها و طلب رضاها ... أنت فقط حرمتني منها ،هذا ما فعلت!!

(٥)

أشرقت الشمس لتعلن انطلاق يوم جديد ،تسللت أشعتها من نافدة غرفتي لتدغدغ وجهي و توقظ حواسي، فتحت عيناي بهدوء ،أدرت وجهي نحو النافدة ثم ابتسمت ،نفس الشمس التي كانت تتسلل عبر نافذتي الصغيرة في صغري حيث كنت أعيش الفقر و البرد و أتشبت بالحياة من أجل أمي المسكينة، هي نفسها التي كانت تتسلل عبر شرفة غرفتي في ريعان شبابي حيث أصبحت من عائلة ثرية دون سابق إنذار و دون معرفة سبب اختياري عن باقي أطفال الحي ... و ها هي الآن نفس أشعة شمس تتسلل من نافدة غرفتي الجديدة لتؤنس وحدتي و توقظني من سباتي كعادتها.

لطالما اعتدت التحديق بسقف غرفتي و أفكر مرارا و تكرارا في مستقبلي و في كيفية التكيف مع أناس من دولة أخرى مع تقاليد أخرى قبل أن أقرر الترجل من على السرير و الانطلاق نحو المطبخ لأحاول إعداد وجبة إفطار فاشلة، تعلمت كل شيء من هذه الحياة إلا الطبخ ،اعتدت على حياة الرفاهية و الخدم و لم أحسب أنه سيأتي يوم سأضطر فيه لإعداد طعامي بنفسي ... آه لو كانت أمي معي لعلمتني و لاتصلت بي كل دقيقة

كي تطمئن عن حالي ،لم تكن لتسجنني في بلاد أجنبية بعيدا عنها ... بل كانت ستسجنني قربها و تمنعني من رؤية البشر كأنني سأصاب بالعدوى ،و إن جاء عفوها و أعطتني حرية الخروج بعد إدراكها أنني صرت بالغا... كنت آن ذاك سأخرج إلى الدنيا كأنني خرجت من كهف ،شاب لم ير مشهدا غير ما تخيله من روايات أمه عن الحياة خارج بيتهما المهترئ و ما رآه من نافذته الصغيرة ،على الأقل من خلال تلك الأخيرة عرفت أن بيتنا ينقصه شخص، أب لم أره في حياتي و لم تروي لي أمي عنه، كأنه لم يكن قط و لم أجرؤ على سؤالها يوما !!

أخذت هاتفي المحمول ثم ركبت رقما اعتدت كتابته في الآونة الأخيرة ثم ضغطت زر الاتصال، رنين الانتظار الممل لم يدم طويلا حيث جاء الصوت من الجهة الأخرى :

- صباح الخير سيد نجم ،كيف حالك ؟
- سيد أنور صا... صالح ،أليس كذلك؟
- نعم سيدي ،بماذا أستطيع مساعدتك ؟
- أريدك أن ترسل لي قائمة الجامعات المتواجدة بمدينة باريس .. و ربما يمكننا إلقاء نظرة خاطفة

على جامعات أخرى خارج المدينة .

- أمرك سيدي ،لكن لمعلوماتك فقط ... الجامعة التي اختارها السيد كمال نجم هي الأحسن على الإطلاق ... لا أظن أنك ستجد واحدة أخرى أفضل.

ابتسامة سخرية رسمت على شفتاي ثم تكلمت بصعوبة محاولا إخفاء نبرة الغضب :

- لطالما كان السيد كمال دقيقا في اختياراته ،لكن... أظن أنني أنا المسؤول عن دراستي الآن و سأرتاد الجامعة التي تبدو لي مناسبة .
- لكن ...
- ما من لكن يا سيد أنور !! أريد أن أتوصل بالمعلومات التي طلبتها بعد ربع ساعة ... أرجو أن يكون كلامي واضحا !!
- حسنا يا سيد نجم .
- سيد أنور ... أشعل بملل شديد في المنزل ،أريد أن أستمتع بوقتي في مكان ما ... هل لديك فكرة عن مكان كهذا في باريس ؟
- هناك مناطق رائعة بباريس مثل برج إيفل

- **و لما عساي أستمتع بشيء و نافذتي تطل عليه؟... مكان آخر غيره ؟**
- **هناك أيضا متحف اللوفر و ...**
- **آه لقد أصبحت مملا هذه الأيام يا أنور .. هل يبدو لك الذهاب إلى المتحف أمرا ممتعا ؟**
- **آسف يا سيد نجم .**
- **لا عليك سأذهب وحدي للبحث عن مكان ممتع .**
- **ليس عليك الخروج بمفردك دون تحديد المكان المراد الذهاب إليه !!**

زفرة قوية خرجت من أعماقي تلتها إجابتي اليائسة :

- **قوانين السيد كمال نجم ... لا تخف لن أتوه و لن تفقد عملك، لذا التزم الصمت ... أرجوك .**
- **لا أستطيع يا سيدي .**
- **ما بالك يا أنور ،لقد أمضيت ما يقارب الأسبوعين على هذه الأراضي الأجنبية و لا يمكنني أن أتوه فأنا أحفظ طريق منزلي جيدا .**

صمت قاتل اجتاح الاتصال حتى ظننت أنه أنهى المكالمة ،لكنه قال في يأس واضح :

- سأرسل لك قائمة الجامعات فورا ... اتصل بي عند عودتك من جولتك يا سيدي .
- حسنا ،أشكرك .
- هذا واجبي .

ضغطت زر إنهاء المكالمة ثم اتجهت نحو غرفتي لأستعد ليوم كله تشويق ،يوم واحد فقط أنعم فيه بالحرية !

جلت شوارع باريس بحثا عن مكان أنعم فيه ببعض التسلية الخاصة بالأثرياء ،لم يكن هدفي البحث عن النساء فأنا غني عنهن ... لم تسكن قلبي امرأة في حياتي غير أمي و كذلك ... نور أمي الثانية التي كانت تعاملني باحترام لا مثيل له ،لطالما حاولت أن تملأ فؤادي بالعطف و الحنان و نجحت في ذلك .

وقفت أمام مكان ضخم يقف أمام بابه حارس يرتدي بدلة سوداء تبرز تفاصيل عضلات جسمه، كان يقف كالصنم دون حراك ، أحسست ببعض الاندفاع الذي دغدغ حواسي و أردت بشدة اكتشاف ما وراء هذا الباب الغامض .

تقدمت نحو الباب بمشية واثقة كأنني متعود على الدخول هناك لكن تمثيلي لم ينطل عليه حيث أوقفني بيده الضخمة و تحدث بلغة فرنسية واضحة :

- بطاقتك !

رجعت خطوتين للخلف ثم أخرجت محفظتي فبدأت البحث داخلها مدعيا القلق بعدها رفعت رأسي نحوه و أجبته :

- ربما نسيتها في البيت... لكن هذا لن يجعلك تمنع شخصية معروفة مثلي من الدخول هنا !!
- لن تنطلي علي خدعتك يا رجل !!

أخرجت من محفظتي بعد الورقات النقدية ثم تقدمت نحوه فوضعتهم داخل جيبه و قلت :

- احرص على عدم صرفهم دفعة واحدة .

التفت نحوي لدقائق أحسست فيها بتشنج اجتاح أعضائي ،تصورت أنه سيرفع سلاحه في وجهي أو يتهمني برشوته أمام الملأ لكنه ابتعد عن الباب دون أن ينطق بكلمة ،ابتسمت بمكر ثم دلفت الباب و أنا لا

أدري ما ينتظرني داخله .. أنا فقط أبحث عن التسلية .

عبرت الممر المظلم لأتبع أضواء تتراقص في نهايته، وقفت في دهشة من أمري عند رؤيتي كل تلك الأضواء و الموسيقى العالية التي تكاد تصم أذناي، علاوة على ذلك الفتيان المجتمعين وحدهم على منضدة تملأها زجاجات خمر نصفها فارغ ... لم أندهش لرؤيتي هذا المنظر لكن رؤية ديسكو يعمل صباحا أمر شبه مستحيل .قررت العودة أدراجي لكي أحتفظ بما تبقى من أملي في العثور على مكان يقتل مللي لكن صوتا خشنا استوقفني :

- أين تخال نفسك ذاهبا ؟

استدرت نحوه ببطء ثم رفعت رأسي و رمقته بنظرة صارمة ثم قلت:

- ديسكو صباحي ؟ أليس كذلك ؟

التفت نحو أصدقائه البالغ عددهم خمسة ثم قال و هو يبتسم :

- أ محرم علينا الاستمتاع ؟

- حسنا ... سأتركك تكمل احتفالك أو ... استمتاعك كما قلت .. وداعا .
- لا لن ترحل يا صديقي...ليس قبل أن تنضم إلينا .

ابتسمت بصعوبة ثم أجبته و أنا أحول الحفاظ على ثباتي :

- لا عليك، كما ترى ... لا أريد إزعاجكم بتطفلي .

أمسك ذراعي بقوة ثم ساقني نحو رفاقه و هو يقول :

- لقد دخلت إلى الديسكو صباحا ... لا أدري كيف استطعت عبور الحارس و الدخول بهذه السهولة... لكنك لن تخرج قبل أن تحتسي معنا كأس نبيذ و تشاركنا مرحنا ... كلما زاد العدد زادت المتعة ،أليس كذلك ؟

رمقت وجوه الحضور الصارمة ثم أدركت أن علي الانضمام إليهم و إلا سأقع في ورطة فالكثرة تغلب الشجاعة .أمسكت كأس الخمر باشمئزاز ثم قلت و أنا أتظاهر بمعرفتي الشاملة عن أنواع النبيذ:

- يبدو أن هذا الخمر من نوع جيد جدا .

- لقد أصبت يا رجل ،هذا النوع من النبيذ لا يوجد إلا في بعض دول العالم ... لذا تلدد كل قطرة منه.

ابتسامة صفراء دون إجابة كانت كافية لتجعله ينشغل بلعب القمار و يتركني و شأني حيث ذهبت نحو أقرب نبتة ثم سكبت ما في كأسي على تربتها و استدرت نحوهم كأن شيئا لم يكن .تأملت بعض الأكياس الصغيرة المركونة على جانت المنضدة ،كانت تحتوي على مادة بيضاء كأنها غبار أو شيء من هذا القبيل ، التفت ناحية الرجال ثم اقتربت من كأس أحدهم فأوقع عمدا في حين كان مشغولا بلعبة الطمع ،تراجعت إلى الخلف لأشهد النقاش الحاد الذي دار بين من استقبلني و من أوقعت كأسه المملوء ،كانت أصواتهم تتعالى حيث حاول الرجل الأول الدفاع عن رقي هذا المشروب الذي هدره الرجل الثاني سدى بإيقاعه أرضا ... و ها قد جاءت لحظتي المنتظرة حيث تسللت بعيدا عنهم عابرا الممر المظلم ليقطع طريقي شخص وسط الظلام، يوجه مسدسه نحو الفراغ الذي ولدت منه لأستقر أمام فوهته دون حراك ،أدار الغريب رأسه نحو اليمين مهمهما و محافظا على قبضته الحديدية على مسدسه:

- الآن !!

فانطلق مع إشارته مجموعة من الرجال استطعت تحديد ماهيتهم من خلال الأضواء الضئيلة المنبعثة من داخل الديسكو ... رجال شرطة !!

وجهت كلامي إلى الشرطي أمامي الذي يبدو أنه قائدهم:

- هل لي بسؤال يا سيدي ؟

نظرة احتقار و غضب منه كانت كافية لتشعل صفارة إنذار عقلي و تبت الرعب في عروقي .أمسكني من دراعي بعنف و دفعني أمامه بعد أن جاءته إشارة من زملائه تعلن أن المهمة قد نجحت ،أدخلني إلي سيارته التي تلعب ألوانها الأحمر و الأزرق على سطحها ... لم يأبه لكلماتي المتقطعة بل كان يوقف كلامي بضربة قوية على ظهري تجبرني على الصمت .

عند وصولنا إلى قسم الشرطة أجلسني القائد مع باقي الرجال اللائي التقيتهم بالديسكو ثم توجه نحو باب عليه لوحة مطبوع عليها اسم شخص ما لم أتمكن من قراءته .دق الشرطي الباب برفق ثم دخل بعد أن سمع همهمة الموافقة على الدخول حيث اختفى داخل تلك

الغرفة بعد أن رمقنا بنظرة صارمة ... يبدو أنني بحثت عن التسلية في المكان الخطأ و وقعت في مأزق ،أحسست أنني في حلم غريب ،رجال شرطة و مسدسات في كل مكان .. لكن شعور الخوف الذي ينتابني يوقظني كل مرة من خيالي و يؤكد لي أنني لا أحلم و أنني لا أعيش فيلم أكشن داخل عالم أحلامي ،بل هذا واقع و مر أيضا و دليله كفاي اللذان يرتعشان خوفا أو ربما ارتباكا من القادم ... لست مجرما ،لم و لن أكون يوما مجرما ،لن أدخل السجن أبدا ما دمت من عائلة نجم فأنا كقطعة نادرة ،أليس كذلك ؟ ... أكيد لن يتركوني وحيدا وسط ظلام هذه المشكلة ،لا أريد أن أسجن بسبب هؤلاء السكارى ،ربما ستكون تهمة شغب أو شيء بسيط سأقضي فقط أياما و أخرج كأن شيئا لم يكن ... لكن لم أقول هذا و أنا لم أفعل شيئا !!!

استغرق الشرطي ما يقارب العشر دقائق بالداخل بعد ذلك خرج و أدخلنا جميعا إلى نفس الغرفة التي كانت عبارة عن مكتب للسيد قائد الشرطة "مايكل تورا" ،هذا الأخير استقبلنا بنفس نظرات زميله ثم وضع أكياسا صغيرة تحتوي على مادة بيضاء كالغبار فوق

مكتبه ثم بدأ بالحراك يمينا ثم شمالا و عيناه لا تفارق الأكياس إلى أن استدار و قال بصوت مخيف :

- **أظن أن الأمور واضحة ... لذا أخبروني من مدبر هذه العملية ؟**

بدأ كل منهم ينظر لمن قربه ثم يتحدثون بلغة العيون ،لكن الشرطي استدار نحو المكتب و حمل كيسا واحدا ثم قال :

- **أظن أن السؤال الأول لم يكن واضحا كفاية لتجهدوا أنفسكم بالرد عليه !!... حسنا، حسنا أخبروني يا جماعة من زعيمكم ؟**

وقف أحدهم ثم قال بصوت واثق لا يشوبه توتر و كأنه معتاد على هذه الأجواء :

- **ليس لدينا زعيم يا سيدي .. نحن مجرد أصدقاء لا علاقة لنا بهذه الأكياس !**

ابتسم القائد بغضب ثم قال باستهزاء :

- **نعم ،معك حق ... لا دخل لكم في هذه العملية ،**

أنتم مجرد أصدقاء تحتفلون في سلام ... نحن الظالمون و أنتم المظلومون في القصة ،أليس كذلك ؟

- **لا يا سيدي و لكن ... نحن لا دخل لنا فيما وجدتم، لذا دعنا نذهب من فضلك .**
- **هل أبدو لك أحمق ؟**
- **معاذ الله يا سيدي ،لم نقلل من شأنك .**

ضرب القائد مايكل على مكتبه بقوة ،ضربة واحدة اهتزت لها الأبدان خوفا ثم قال بصوت غاضب عالي :

- **اسمع يا هذا، لقد مرت علي قضايا مخدرات أخطر من خاصتكم و أغلبهم .. هذا إن لم نقل كلهم بدأوا استجوابهم معي بمثل هذه الترهات و انتهوا باعترافات .. لذا لا أنصح أيا منكم بالتلاعب معي!!!**

استدار نحو شرطي كان جالسا على الجانب الأيمن من المكتب ثم أعطاه إشارة مفادها "ابدأ التدوين" ثم تقدم نحونا ببطء و اتكأ على المكتب قائلا :

- **تعرفون جيدا أنكم متورطون، لذا لا تحاولوا المراوغة .. أنتم باقون هنا سواء اعترفتم أم لا،**

أنصحكم أن تجيبوني على كل سؤال بوضوح و إلا سأترككم بالسجن قبل المحاكمة دون طعام أو شراب، بل حتى النور لن تروه ... و إن رق قلبي لحالكم سآمرهم أن يسقوكم كأس ماء واحد لكم جميعا .. لذا من الأفضل أن تقولوا كل ما في جعبتكم و أعدكم حينها بالمعاملة الحسنة ... رغم أنكم لا تستحقونها !!

صمت لبرهة بعد أن رمق وجوهنا بنظرة صارمة ثم قال :

- **السؤال الأول ،من أين لكم بكل هذه الكمية من المخدرات ؟ ... السؤال الثاني، أين تخبئون باقي الكمية و لأي بلد كنتم تنوون تهريبها ؟ ... السؤال الثالث، أين باقي أفراد العصابة ؟**

أكمل القائد مايكل أسئلته منها المفهومة و منها الغريبة و بعد أن حصل على كل أجوبته أمر الشرطي أن يصحبنا للسجن المؤقت لكنني وقفت و قاطعت كلامه قائلا :

- **عذرا يا سيدي، هل يمكنني أن أتحدث معك ؟**

رمقني بنظرة غريبة ثم ابتسم و حرك رأسه بهدوء ثم

قال :

- **لاحظت أنك لم تنطق أي كلمة منذ بداية الاستجواب، عكس أصدقائك ... أ قررت الاعتراف بشيء غفلت عنه ؟**
- **لا يا سيدي، لكنني أردت فقط أن أخبرك أنني لست من هذه العصابة و لا علاقة لي بكل هذا !!**
- **أظنك سمعت كلامي من قبل ... أنا لست أحمق لأصد...**

قاطعته ثم تكلمت بصوت مرتعش كله حزن :

- **لكنني لا أكذب ،أنا أقول الصدق ... أنا فعلا لا أعرفهم ،يمكنك أن ترى هويتي و سجل الجرائم ... أنا مجرد شاب أراد الاستمتاع بوقته فقادني فضولي إلى دخول هذا الديسكو ... لكنهم أرغموني على الانضمام إليهم و احتساء الخم...**
- **إذن أنت سكران و تريد أن تحكي لي قصة دارت في مخيلتك و تريدني أن أصدق شخصا ثملا ؟**
- **لم أشرب الخمر في حياتي، فأنا مسلم و مغربي كذلك ... أنا هنا من أجل الدراسة لا غير، لا أنتمي**

لأي عصابة كيفما كانت و في الاستجواب ذكروا أنهم يعرفون بعضهم و يخططون منذ شهر لكنني لم أطأ أرض فرنسا إلا قبل أسبوعين من الآن ،لذا لا أعرفهم!!

صفق القائد مايكل بحرارة ثم تقدم نحوي و قال و الابتسامة على وجهه:

- **أ جئت فرنسا لتدرس التمثيل ؟ لأنك بارع !! .. تستحق جائزة الأوسكار على هذا العرض الذي قدمته ... أ كنت تعتقد أنني سأصدقك بهذه السهولة ؟ ، في أحلامك !!**

أشار للشرطي بأن يصحبني حيث باقي العصابة ثم عاد إلى مكتبه و جلس بارتياح و كأنه فاز في معركة .

☆☆☆☆☆☆☆☆

تقدم الشرطي المراقب نحو القضبان و ضرب عليها ثم قال :

- **من منكم يدعى نجم ؟**

وقفت من مجلسي ثم تقدمت بلهفة إليه و صحت بتوتر:

- **أنا ... أنا يا سيدي نجم اسم عائلتي !!**

فتح الباب ثم أمسك بيدي و قال بصرامة كعادته :

- **القائد مايكل تورا يطلب رؤيتك .**

التفت إليه و ابتسامة أمل تسللت إلى شفتاي ثم قلت بصوت مرتجف :

- **هل هناك أي جديد في القضية ؟**
- **لا دخل لي في هذا !!**

دق مكتب قائده ثم فتحه بعد أن جاء رده ،قدم التحية البوليسية المعتادة ثم أدخلني و انصرف ... وقفت أمام القائد وحدنا ،عيناي ملتصقتان بالأرض .. لم أحس بالحرج من حالي يوما أكثر من اليوم ،تبدو حالتي مزرية.

تقدم القائد نحوي ثم قال :

- **يبدو أن هذه الأيام القليلة التي قضيتها معنا كانت مفيدة لك ليعود عقلك إلى مكانه ... أخبرني**

الحراس أنك رفضت الطعام ... و ابتعدت كذلك عن جميع رفاقك ... طبعا لما لا تبتعد عنهم و هم سبب توريطك ، أخبرني ... كم دفعوا لك ؟

رفعت رأسي نحوه و قلت بغضب :

- **للمرة الثانية أقول أنني لا أعرفهم يا سيدي.**

ضحك باستهزاء و قال :

- **ظننتك عدت لرشدك ... لكن ،يبدو لي أنك مصر على إنكار جريمتك .**

رن هاتف القائد ،استأذن و رد على الاتصال :

- **القائد مايكل تورا في الاستماع .**
- **.....**
- **نعم يا سيدي .**
- **.....**
- **يمكنك الدخول الآن، أظن أن عملي انتهى هنا !!**
- **.....**
- **لا عليك هذا من واجبنا ،نحن من يجب أن نقدم بك الاعتذار!**

تقدم القائد نحوي ثم قال و هو يربت على كتفي :

- **من حسن حظك أن المحاكمة تأجلت لثلاثة أيام .**
- **حتى إن لم تتأجل فالنهاية واحدة !!**

فتح الباب بعد بضعة طرقات خفيفة و دخل شخص ما، ابتسم القائد عند رؤيته ثم قال و هو يفتح يديه لاستقباله بالأحضان :

- **لقد كبرت يا رجل ؟**

طأطأت رأسي أنتظر انتهاء مسرحية الاستقبال التي تدور خلفي، أحسست أنني مجرم لا قيمة له ،تحولت من شخص نبيل إلى آخر عديم القيمة بين ليلة و ضحاها ... يا إلهي متى ستبتسم لي الحياة ؟

تقدم ضيف الشرف أمامي ثم رفع رأسي بيده قائلا :

- **سيد نجم ؟**

رفعت رأسي باندهاش ثم رمقته بنظرات حزينة للحظات فحضنته بشدة و الدموع تنهمر على خداي :

- **ظننت أنكم تخليتم عني ... لقد تعبت يا أنور...تعبت و الله ،لست متورطا بشيء ... ثق**

بي أنا بريء .... بريء !!

ربت على ظهري ثم ابتعد و قال :

- **أثق بك يا سيد نجم، لا تحزن ... إن الله معك !!**

استدار نحو القائد ثم رمقه بنظرة غامضة و قال :

- **متى يمكنه الخروج من هنا ؟**
- **فور انتهاء الإجراءات ... يجب عليه أن يمضي على بعض الأوراق لكي يثبت أنه ظهر جديد بالتحقيق و توصلنا إلى أنه بريء .**
- **كم سيتطلب الأمر من الوقت ؟**
- **ليس كثيرا، حوالي ساعة ... تقريبا .**

تقدم نحوي بخطوات ثابتة ثم قال بصرامة كعادته :

- **أنقدك لقبك يا "سيد" نجم !!**

أمسك أنور بيده ثم قال بغضب :

- **لقد تحدثنا من قبل يا مايكل...أنت الآن تملك كل الدلائل بين يديك و تعلم جيدا أنه بريء ... أعرف أنك ذكي و يمكنك معرفة المجرم منذ بداية الاستجواب لذا لا تتغابى علي يا مايكل !!**

تراجع مايكل و قال و هو يلعب بقلم حبر بين أصابعه ليهدأ من توتره :

- **لن أنكر يا أنور أنني شككت ببائته منذ البداية ... لكنني و كما تعلم أردت أن أعطي درسا لهذا المتعجرف العربي ... لطالما أزعجني تواجد العرب داخل تراب وطننا .**
- **لا تكن عنصريا يا تورا و لا تنس أنني عربي أيضا ... إذا أهنت سيد نجم فأنت تهينني أيضا يا صديقي !!**
- **أنت لست مثلهم ... نعم أعترف أن عائلتك العربية رائعة لكن أمك فرنسية و علاوة على ذلك أنت كبرت بيننا و هذا يغير الكثير فلا تقارن نفسك بالعرب !!**
- **كما سبق و قلت لك، سيد نجم من عائلة معروفة جدا و لا يستحق هذا التعامل منك يا مايكل.**
- **حسنا حسنا، أظن أن وقت العفو حل ... مبروك عليك .. البراءة يا نجم ، يمكنك المغادرة بعد أن نحصل على توقيعك ... ستجد أغراضك عند الشرطي في الاستقبال.**

هدوء قاتل كسرته كلمات أنور المترددة :

- **نبهتك يا سيد نجم و لم تسمع كلامي !!**

طأطأت رأسي في خجل ثم تحدثت بصعوبة:

- **معك حق في كل ما قلته ... باريس مدينة أجنبية و سأبقى ذلك الغريب الذي تطفل عليها ... لن يتقبلني الباريسيون حتى أتبع ملتهم !! لكن، هناك سؤال يشغل بالي ... كيف وجدتني ؟**
- **في بادئ الأمر حاولت الاتصال بك مرارا و تكرارا دون جدوى و بعد مرور ست ساعات دون أن أتلقى أية رسالة منك تعلن وصولك بأمان إلى المنزل، قررت أن أتجه إلى شقتك للاطمئنان عليك، لكن دون أية فائدة .**

صمت لبرهة ريثما يدير المقود إلى جهة اليسار لتغيير مساره ثم أكمل :

- **اضررت آن ذاك لانتظارك وقتا إضافية كي أؤكد شكوكي قبل أن أتعقب مكان سيارتك ...**

استدرت نحوه في دهشة ثم قلت :

- تتعقبني ؟ ... هل هناك جهاز تتبع داخل سيارتي ؟ ... أفكار كمال مجددا أليس كذلك ؟
- نعم ،هناك فعلا جهاز تتبع داخل سيارتك، أمرني السيد كمال نجم أن أضعه هناك ... من أجل حمايتك !! لولا ذلك الجهاز لما استطعت إنقاذك في الوقت المحدد.
- ماذا حصل بعدها ؟
- اكتشفت أنك ركنت سيارتك أمام ديسكو ... ظننت أنك تستمتع بوقتك هناك، لكنني اكتشفت أن بعض العمال يتحدثون عن ما حصل صباحا و علاقته بتهريب المخدرات ... حينها اتصلت بمايكل تورا صديق قديم، درسنا بنفس الجامعة و كان أفضل أصدقائي لكننا تفرقنا بعد أن غير جامعة التسيير و الاقتصاد إلى جامعة خاصة بالشرطة... أخبرني أن هناك بعض الرجال متهمون بتهريب المخدرات تم القبض عليهم داخل نفس الديسكو الذي ركنت سيارتك أمامه ثم بعد التأكد من أنك واحد منهم انطلقت للبحث عن دلائل تثبت صحة براءتك و ساعدني مايكل بتسريع قبول ملفك .

ابتسمت بمرارة ثم قلت :

- **لا أستحق كل هذا منك يا أنور ... كنت لطيفا معي رغم تعاملي المتكبر معك ... أنا آسف .**

ربت على ساقي قائلا :

- **من واجبي حمايتك يا سيد نجم ... لا تنسى أنني مساعدك الشخصي و المسؤول عنك ... ما دمت فوق تراب فرنسا فأنا مسؤول عن كل خطوة قمت بها .**
- **معك حق ... لكنني أريدك صديقا لي لا مساعدا ... سأطلب من السيد كمال نجم أن يرفع أجرك بشرط أن تكون صديقي و أخي ما دمت موجودا هنا... لا أظن أنني سأثق في شخص غيرك .**
- **لا داعي أن تخبر سيد كمال بأن يرفع أجري فالمبلغ الذي اتفقنا عليه يكفيني ... و بالنسبة لصداقتنا فأنا موافق عليها ... لكن مساعدتي لك ستبقى مستقرة .. لن تتغير أبدا !!**
- **كما تريد ... المهم أن يكون لدي صديق مثلك في غربتي .**

توقفت السيارة أمام باب العمارة، التفت نحوي أنور ثم ابتسم و قال :

- **سأمر عليك غدا لكي أصحبك إلى الجامعة ... أظن أنك تأخرت بما يكفي عن الالتحاق بدراستك، أتمنى أن ترتاح هذه الليلة !!**
- **أدعوك لتناول وجبة العشاء معي .**
- **سأقبل دعوتك ....ليس هذه الليلة، يجب أن تستحم و ترتاح، لقد قضيت وقتا عصيبا.**

فتحت باب السيارة ثم طأطأت رأسي و الابتسامة تتسلل إلى شفتاي :

- **نلتقي غدا إن شاء الله... أشكرك مجددا .**

قبل أن أغلق الباب ورائي همهم أنور :

- **لا تقلق بشأن سيارتك... سأحضرها لك الآن كما طلبت، اعتن بنفسك !**

فتحت باب شقتي و روحي تكاد تقفز من مكانها فرحا بعودتي إلى الأمان من جديد، توجهت نحو غرفتي التي غبت عنها طويلا ثم اتكأت على السرير، بعد كل هذه

السنين أدركت أن هذا ما أستحق ... نعم هذا ما استحققت منذ البداية ...سرير ناعم، شقة خاصة، مساعد خاص، دراسة في أفضل جامعة في باريس و تعامل كالأمراء... الأهم من هذا أسرة و لقب "سيد نجم" وقعها يختلف كلما نطق بها شخص مختلف لكن رنة الاحترام تبقى نفسها، هذا اللقب هو الذي ألبسني تاج القناعة بما أعيشه... رغم أنني ظلمت، لكن هذه المدة البائسة التي قضيتها خلف القضبان لا تعني لي شيئا مقارنة بسنين الفرح و التباهي بلقبي ... هذا كل ما تستحق يا "سيد نجم" حياة رفاهية و احترام خاص، لقد صرفت حظك كله لما اختارك كمال من بين أطفال الحي ... ربما أرادني ولدا له غصبا عني و عن .. أمي الحبيبة لم أنساك رغم كل التغير الذي طرأ في حياتي، سأبحث عنك بعد عودتي للمغرب... أتمنى أن أجدك و أحضنك بقوة لأطفئ نار الشوق التي تحرق فؤادي... لأنني فقط أحببتك بصدق!!

(٦)

بخطوات ثابتة كعادتي خرجت من باب الجامعة و الغضب يسيطر على عقلي... أغلقت باب سيارتي ثم أدرت المفاتيح استعدادا للانطلاقة صاروخية، لكن ضربات همجية على زجاج النافذة جعلني أستدير بانفعال، رمقتها بنظرة غاضبة ثم فتحت النافذة، ما جعل صوتها يتسرب إلى أذناي :

- **أرجوك سامحني يا صديقي لم نقصد إيذائك...أنا لست صاحبة الفكرة صدقني !!**

رمقتها بتجاهل كالعادة ثم أجبتها بصرامة :

- **لا أهتم إن كانت فكرتك أم لا ، حاولت أن أشرح لكم مرارا و تكرارا أنني لا أحتسي الخمر و أن عدم انتمائي لمجتمعكم و تقاليده لا يدل على أنني شخص انطوائي و معقد يا سارة .**
- **أعرف أنك مختلف عن الفرنسيين و أصدق أنك لا تشرب الخمر، لكن جورج من اقترح أن نسكب القليل من النبيذ بمشروبك ... لقد أخبرني أنك ستكون أكثر نشاطا مما أنت عليه و ربما تعير أحدنا الاهتمام !!**

ضحكة استهزاء تسللت إلى شفتاي دون إرادتي، حاولت أن أتمالك نفسي و أجيبها بنفس الصرامة و الغضب الذي أنا عليه:

- **أظن أنني كنت واضحا منذ البداية... لقد تعديتم حدودكم... للأسف، كنت أعتقد أنني وجدت أصدقاء يشبهونني بعد كل هذه السنين التي قضيتها وحيدا في هذه الجامعة... إلى هنا انتهت صداقتنا ... بلغي رسالتي إلى باقي عصابتك.**
- **أرجوك لا تذهب، لا تتسرع و تحكم علينا!!**

أغلقت النافذة على وقع كلماتها الأخيرة ثم انطلقت بسرعة قبل أن أكبد نفسي عناء الرد عليها أو حتى عناء الاستماع لكلماتها المتبقية، لقد سمعت بما فيه الكفاية و استحملت مطاردتها إياي سنة كاملة و الآن حان الوقت لأبتعد عن هؤلاء الأصدقاء المزيفين و أتوجه إلى صديقي الحقيقي الوحيد ... أنور .

رمقته من بعيد جالسا ينتظرني، اقتربت منه ثم ضربت كتفه قبل أن أجلس أمامه على المنضدة :

- تبدو متعبا يا أنور، ما الأمر ؟

أزال كفه من على جبينه ثم أجاب بصوت متعب:

- لا شيء غير ابنتي التي تأبى أن تنام ليلا.
- أخبرتك من قبل أن تبحث عن مربية تهتم بها لتنعم بقسط من الراحة... زيادة على ذلك، ليس من الطبيعي أن تترك ابنتك مع أمك طوال النهار و تصحبها لتبيت معك ليلا .
- كما تعلم ... منذ وفاة أمها و هي متوترة، أظن أنني يجب أن أصحبها إلى الطبيب.
- أنا حقا آسف... لقد كان موت أمها صدمة لنا جميعا، لقد ألفت وجودها بقربها طول النهار و الآن بغيابها تشعر أنها وحيدة... أظن أن الحنان و الاهتمام هو كل ما تحتاج .
- دعك من أمري الآن و أخبرني، ما الأمر تبدو منزعجا و غاضبا !!

أدرت رأسي نحو النادل ثم طلبت قهوتي المسائية كعادتي، بعدها طأطأت رأسي و أجبته :

- مجرد مشاكل لا أهمية لها .

- **الأصدقاء الجدد ؟**
- **أضافوا الخمر إلى مشروبي و نعتوني بالمعقد و الغريب... رغم أنني كنت أعاملهم بلطف و أحترم قراراتهم ،تحملت تصرفاتهم و تلميحاتهم سنة كاملة... تجاوزوا حدودهم هذه المرة و قطعت علاقتي بهم نهائيا !!**
- **خيرا فعلت يا صديقي ... لن تجني من صداقتهم شيئا غير الخسارة .**
- **آه يا أنور، لقد اشتقت لعائلتي ... لم تعد الاتصالات الثلاثية الأبعاد كافية ... أريد أن أعود بأسرع وقت ممكن .**
- **تبقت لك سنة واحدة على تخرجك... ستذهب و تتركني وحيدا يا سيد نجم، كنت صديقي الحقيقي خلال هذه السنوات .. لا أعلم كيف سأتحمل عودتك إلى المغرب بعد أن ألفت وجودك .**
- **لا تشغل بالك بهذا الموضوع ... سأزورك يوما ما بعد عودتي، لن أنسى صداقتنا !**

ابتسم أنور بمرح ثم أخذ رشفة من فنجان القهوة قبل أن يقف و يحمل مفاتيح سيارته قائلا:

- لقد تأخر الوقت، يجب أن أذهب لأصحب ابنتي قبل أن تنام و ترفض جدتها إيقاظها.

وضع بعض الورقات النقدية على المنضدة ثم أكمل :

- و لا كلمة !! أنا من سيدفع هذه المرة ... أراك غدا .
- اعتن بنفسك !!

انصرف بعد أن لوح بذراعه علامة الوداع. أدرت رأسي نحو النافذة أتأمل منظر الأضواء التي تنير مدينة الأنوار في وقت متأخر من الليل... اعتدت مشاهدة برج إيفل المضيء ليلا و أنا أتصفح الجريدة أو أتمعن في قراءة رواية أو كتاب جديد... منظر لن أراه ثانية بعد تخرجي ... سأشتاق إليك يا باريس رغم قساوتك علي !!

(٧)

دقات متتالية على الباب تلاها ظهور وجه اشتقت لرؤيته، لم تكن الاتصالات الدائمة كافية لإخماد لهيب الشوق داخلي، اشتقت إلى حضنها الأموي...فقدت أما من قبل، و لن أدع الزمان يأخذ مني الثانية !!

بعد عناق طويل، أدرت رأسي نحوه..."سيد كمال نجم"، ملامحه القاسية التي لطالما حاول إظهارها أمام الملء لإخفاء الحنو الذي يعتبره ضعفا... تلك الملامح ذكرتني بكل السنين التي قضيتها بعيدا عن أرض موطني، مغترب رغم أنفي، أمشي وفق قواعد سيدي... ربما وجب علي مناداته ب "أبي" ،لكن هذه الكلمة لا يستحقها إلا من فاز بحبي طوعا لا غصبا... إلى حدود هذا اليوم يكفيه كلمة سيدي التي يستحقها، من أجل كل الأيام الجميلة التي قضيتها معه، من أجل كل النصائح التي تلقيتها منه، استحق الاحترام.

- اشتقت لك يا عزيزي، نورت المنزل !!

استدرت نحو مصدر الصوت فإذا بنور تحمل كعكة عملاقة، تضيئها شموع مختلف ألوانها. وضعت الكعكة على المنضدة ثم أكملت كلماتها مع ابتسامة رقيقة :

- وجب علي الاحتفال بعودتك لنا بصحة و سلامة يا طبيب العائلة.

رمقت زوجها بنظرة خاطفة ثم أكملت حديثها :

- رغم أن كمال رفض في بادئ الأمر... لكنه اقتنع أخيرا أن من واجبنا الاحتفال !!
- رفضت الاحتفال من أجل مصلحتك فقط!!

بصوت هادئ قال كلماته الأخيرة، أحسست أني مجرد شخص تافه غير مسؤول عن نفسه، لطالما اختار كمال كل شيء يخصني ... ما دوري في هذه الحياة إن لم أقرر ما أفعله ؟ مجرد حامل لقب "نجم"، لا أنكر أنه جلب المجد من قبل الناس ... و العبودية من قبل السيد كمال !! كظمت غيضي و أظهرت عدم المبالاة بكلماته رغم أنها أحرقتني داخليا. اقترب كمال نحوي بخطوات ثابتة ثم قال :

- بني... لا بد أنك قضيت وقتا عصيبا خلال هذه السنوات... هذا كله من أجل دراستك و مستقبلك، لذا أريد تهنئتك و بهذه المناسبة لدي هدية من أجلك !!

وقفت لمواجهته و الغضب يتملكني، عدلت قميصي ثم قلت و أنا أحاول تمالك أعصابي التي خانتني فصحت في وجهه:

- هدية؟...هل قلت هدية؟... السنوات التي ضاعت من عمري في الغربة و الحرمان من العائلة لن تعوضهما هدية !!

أمسك ذراعي بحنان ثم قال :

- تمالك أعصابك و اهدأ .. أتفهم كلامك و أقدر شعورك بالوحدة و الإهانة في بلد غير وطنك الأم، لكنني قمت بكل شيء من أجلك، منحتك كل شيء تحتاجه، كي لا تشعر بالغربة!

أزلت يده بعصبية ثم أجبته :

- منزل، سيارة، رحلات سياحية و المال ... كل أفعالك مبنية على المال و المجد!! ... لم تفكر يوما أنني قد أكون بحاجة لعائلة حقيقية بدل حياة الرفاهية التي أعيشها !!!
- يبدو أن الغربة علمتك القساوة !!
- أنظر من يتحدث عن القساوة، سلبتني حريتي و

- أسكنتني في منزل ظننت في بادئ الأمر أنه نعيم، لقبتني ب "نجم" و عاملتني كأنني "شيء ثمين"، تحكمت في حياتي كأنني عبد... و تنهي كلامك ب "هذه لمصلحتك"، مصلحتي أن أبقى وحيدا؟؟ أليس في قلبك رحمة يا سيد كمال نجم ؟

طأطأ كمال رأسه ثم أغمض عينيه كأنه يحاول منع نفسه الحساسة من الظهور، وقفت نور ثم أمسكت بيدي قائلة:

- أرجوك اهدأ يا عزيزي، لا يستحق كمال كل هذه القساوة منك... لطالما أحبك، ربما أكثر مني حتى، اغفر له تصرفاته اللاإرادية... لقد مر بظروف صعبة و لم يعد يثق بأحد لذا وجب عليه تأمين أحسن حياة لك بعيدا عن المشاكل، كي لا تعيش نفس حياته .
- لقد فشل في ذلك يا نور، أظن أنني اكتفيت فعلا من هذا التسلط... أظن أنه من الأفضل الابتعاد عن هذا المنزل و تحقيق أمنية سيد كمال نجم !!

رفع كمال رأسه ثم رمقني بعينين حمراوين كأنها

تخزن كمية هائلة من الحزن داخلها ثم قال بصوت حنون :

- **أمنيتي هي أن تقبل هديتي لك يا بني !**
- **لن أقبل منك شيئا !!**

رفعت نور صوتها معارضة ردي :

- **طفح الكيل، أعتذر يا كمال لكنني سأخبره بالأمر.**

حاول كمال منعها ببعض الكلمات المتقطعة لكنها أكملت دون مبالاة:

- **ليس من الأدب أن ترفض هدية كمال، خصوصا أنه قطع مسافة طويلة من أجل رؤيتك بعد كل هذه السنين... سافر لمدة خمسة أشهر إلى ألمانيا من أجل مسائل مهمة جدا و كان من المفترض أن يعود بعد شهرين من الآن... لكنه ترك كل شيء مهم و عاد من أجلك ليعطيك أفضل هدية !!**

طأطأت رأسي في حرج ثم قلت بعد أن بلعت ريقي :

- **أنا حقا آسف يا سيد كمال!!**

تقدم نحوي و عيناه تذرف الدموع ثم قال:

- **لا داعي للاعتذار، ما قلته كان فقط ... حقيقة .**

وقفت نور بيننا ثم قالت بمرح :

- **و الآن بعد أن هدأتما فلنحتفل !!**
- **ليس قبل أن يسلمني كمال الهدية.**

ربت على كتفي ثم قال:

- **هل يرضيك قضاء أسبوع معا كهدية ... اختر أي مكان يعجبك لنقضي فيه أفضل عطلة، لتشعر بحنان الأب لأول مرة .**
- **عدني أنك لن تتسلط علي !!**
- **أعدك.**

أنهى كلمته الأخيرة بعناق يملأه الحنان الأبوي الذي لم أحسه من قبل.

(٧)

مرت الأيام بسرعة على غير عادتها، ربما لأن جمالها لم يسمح لها بالمكوث طويلا. انتهى الأسبوع سريعا، تمنيت أن أبقى وقتا إضافيا قرب كمال، لكنه أصر على العودة إلى المنزل دون أي سبب محدد. قضينا أسبوعا مليئا بالسعادة، لعبنا كرة القدم معا، سبحنا معا و طهونا طعامنا معا(رغم سوء طعمه)، قمنا بالعديد من الأنشطة التي لطالما تمنيت القيام بها مع "أب" و للأسف لم أمتك واحدا، لكن كمال عوضني عن كل شيء في أسبوع.

مستلقيا على سريري أسترجع ذكرياتي مع الرجل الذي رباني وسط جدران هذا المنزل العملاق، رغم أنني قضيت معظم الوقت بعيدا عنه، وحيدا كالمنفي من العائلة قبل الوطن، طوال حياتي اعتقدت أن الرجل الذي أحمل لقبه مجرد شخص غليظ الطباع، يتحكم بحياة غيره كأنها ملكه، لكن هذا الأسبوع الذي قضيته بقربه غير وجهة نظري فيه... نفس الرجل الذي كرهته أكثر مما أحببته بدى لي ألطف خلق الكون و أكثرهم بشاشة، رغم أنه أبعدني عن العائلة لمرتين إلا

أن المرة الثانية... كانت من أجلي، نعم يا سادة، درست بأفضل الجامعات لأكون طبيبا محترما في بلادي، لم أرد يوما أن أكون مسؤولا عن شركة أنشأها شخص غيري بعرق جبينه، لا أريد أن أكون وريثا غبيا !! ... "كمال نجم" الرجل الذي اختطفني قبل أن يحسن إلي، لم أستطع ملأ فؤادي الفارغ منذ ابتعادي عن أمي، صحيح أن لدي كل ما أريد عيادة خاصة، سيارة و عائلة لكن قلبي يحتاج حنانها و عيناي تحتاج رؤيتها!!

جلست بجانب السرير لبرهة و أنا أدفن رأسي بين ذراعي... أظن أن الوقت قد حان للحقيقة، انتهى العد التنازلي و نفذ صبري، حان وقت المواجهة يا سيد كمال نجم!!

فتحت باب المكتبة بهدوء بعدما سئمت انتظار رد كمال من الجانب الآخر، كان هذا الأخير يقضي وقتا طويلا بالمكتبة لدرجة أن نور تضطر للانضمام له كلما أحست بالوحدة، لطالما شهدت على رقة تصرفاتها مقابل تجاهله المستمر.. المسكينة كانت تفقد الأمل و تعود أدراجها بوجه عبوس.

متكئ على مكتبه و الأوراق تحيط به، من المألوف أن تجد الأوراق و الكتب تحيط برجل أعمال مرموق كسيد كمال لكن الغريب أنه نائم، لا أظن أن قوانين الأثريات تسمح لهم بالنوم هكذا ... اقتربت منه بهدوء ثم مسحت على رأسه بحنان قائلا:

- يا للمسكين! تتحمل تعب العمل وحدك، أتمنى لو أستطيع مساعدتك لكنني لا أريد أن أعيش كرجل أعمال... لا يمكن للدكتور أن يكون رجل أعمال.

ما إن أكملت كلامي الشبيه بالهمس، أدرت رأسي نحو الأوراق المتناثرة قربه ثم قلت و أنا أحاول تنظيمها :

- لا عيب في اكتشاف حياة رجال الأعمال... قد أستطيع فهم عالمك يوما ما و ربما أساعدك قليلا.

أمسكت الأوراق بهدوء ثم اتجهت نحو الكرسي المقابل للمكتب ثم التفت نحو كمال بعد أن جلست و وضعت الرجل اليمنى فوق أختها ثم قلت :

- ستكون فخورا بي عندما أقتحم عالمك يوما ما .

بدأت تصفح الأوراق و الابتسامة تزين وجهي كلما

فهمت مضمون واحدة منها... أدركت أن الموضوع الذي قادني إلى هنا يستطيع الانتظار أكثر، بعد ما رأيت التعب الذي نقش تجاعيده باحتراف على وجه كمال ... لقد انتظرت سنوات من أجل الحقيقة و يمكنني انتظار ساعات إضافية. أكملت تصفح ما يقارب نصف الأوراق، منها البديهية و منها الغير مفهومة ،فواتير و صفقات منها الناجحة و منها المختومة بالفشل و أوراق أخرى مجهولة ،بين كل تلك الأوراق صادفت واحدة عنوانها "رسالة"، استحوذ علي شيطان الفضول فحاولت قراءة أولها إلا أن مضمونها جعلني أكمل قراءتها:

"" إلى من ربيته سنوات دون ملل، إلى من أحببته و جعلته ابنا لي، إلى من صارعت الحياة من أجله، إلى سيد نجم الجديد .

لا أستطيع منع دموعي التي تسابق الكلمات على الرسالة ،يا ليت الدموع تستطيع التعبير عما أشعر به لأن الكلمات خانتني ... بني، اسمح لي أن أقدم خالص اعتذاري عن الحزن الذي عايشته بسببي... لم أستطع يوما إخبارك الحقيقة خوفا من ردة فعلك العدوانية

تجاهي.

بني، لم يتبق لي الكثير في هذه الحياة، قريبا سيخطفني الموت منكم، حاولت جاهدا مقاومة سرطان الدماغ الذي كنت أعاني منه في صمت، سافرت من أجل الحصول على بعض الأمل في احتمال التعافي منه لكنني تأخرت!!

و في الأخير، يجب أن تعلم أن مواجهتك بالحقيقة صعب، لذا أفضل أن أكتب هذه الرسالة من أجل أن تعرف أنك..."""

تصفحت الرسالة بتوتر و قلبتها مئات المرات بحثا عن تتمة الرسالة المبتورة قبل أن أسترجع كلمات الرسالة و أسارع لتفقد كمال. بحركات سريعة و يدان ترجفان تحسست نبض قلبه المنعدمة، حاولت إيقاظه دون جدوى ... هززت جسده و تحسست دقات قلبه مرات عديدة على أمل أن أجد أي نبض ضعيف، جسده الثقيل على غير عادته لم يسمح لي بحمله و الإسراع به إلى المستشفى، لن أستطيع القيادة و أنا على هذه الحالة لذا اتصلت بالإسعاف.

ارتميت على الكرسي بعدما فقدت توازني، حاولت كفكفت دموعي دون جدوى ثم بدأت أكلم كمال و نبرة الغضب تسابق الحزن :

- **لماذا تركتني وحيدا يا كمال، لماذا لماذا !!! ... استيقظ! ،هيا أرجوك انهض من مكانك و أخبرني أنك تمزح .... لن أتحمل العيش دونك يا كمال، لا يمكنك أن ترحل و تتركني بعدما ألفتك !!... لا تفعل بي هذا أرجوك ،حقيقتي ستموت معك و كل ذكرياتي الجميلة ...**

اتجهت نحوه ثم أمسكت يده قائلا :

- **قف كالجبل شامخا فليس من عادتك النوم في المكتبة، هيا استيقظ و أعدك أنني سأناديك بابا كمال لن أناديك بسيدي مجددا ... سأتخلى عن الطب و أحلامي لأساعدك في الشركة، فقط انهض من مكانك، لن أصرخ في وجهك مجددا و لن أستخف بكلامك ، أرجوك !!**

جلست على الأرض قرب كرسيه ثم أمسكت يده و قبلتها، كفكفت دموعي و بدأت أحدثه عن اللحظات

الجميلة التي مررنا بها معا خلال هذه السنين، في انتظار وصول سيارة الإسعاف .

رنين سيارة الإسعاف المميت يقترب من البيت في استعجال، أدرت رأسي نحو كمال فرمقته بنظرة يملأها الحزن، و كأنه الوداع !!

لحقت سيارة الإسعاف رغم أن المسعفين قطعوا حبل الأمل الذي تمسكت به بقولهم "لقد فارق الحياة لن نستطيع إنقاذه"، لم أكترث لكلامهم و ما زلت أتشبث بما تبقى من الأمل ... سيعيش !!

خرج الدكتور من غرفة المستعجلات فهرعت نحوه، رمقته بعيون حزينة في انتظار كلمات لا أريد سماعها فربت على كتفي قائلا:

- **فعلنا ما بوسعنا !!**

جلست على أقرب كرسي ثم دفنت رأسي بين ذراعي، أبت الدموع أن تذرف رغم أن قلبي يحترق حزنا على فراقه، أخذتني ذاكرتي على قارب السعادة فوق نهر من الذكريات الجميلة. صوته يتردد داخل رأسي و كأنه

يكلمني بنبرته الجادة، مشيته و شخصيته، كل الحنان الذي قدمه لي بطريقة غير مباشرة ... كل هذه الذكريات جعلتني أذرف دموع الحزن و الأسى على رحيله دون سابق إنذار!!

أيقظني من سهوتي صوت عجلات سرير المستشفى تتدحرج على الأرض مخلفة ورائها ضجيجا مميتا !!

أدرت رأسي نحو مصدر الصوت، فإذا بي أرى جثة فوق السرير مغطاتا بثوب أبيض، تدفعها سيدة متوسطة العمر، كئيبة الوجه، ترتدي مئزرا أبيض فضفاضا. هرولت نحوها قائلا :

- **إلى أين تنقلينه ؟**

أزاحت العلكة عن لسانها لتتمكن من الإجابة بشكل واضح :

- **من أنت لتسأل؟**
- **أنا سيد نجم ابن السيد كمال نجم !!**

تلاعبت بخصلات شعرها دون اكتراث ثم أجابت :

- **يجب نقله إلى مستودع الأموات، يمكنكم استلام**

الجثة صباحا .

- **أرجوك هل لي أن أودعه ؟**

مضغت العلكة ثم أدارت رأسها يمينا فشمالا للتأكد من خلو المكان ثم قالت :

- **كما تعلم لا يسمح لأي كان بدخول مستودع الأموات، لكن... يمكنني تدبير الأمر من أجلك !!**
- **أشكرك !**

ابتسمت باستهزاء ثم قالت:

- **الشكر لن يملأ الجيوب !!**
- **هل فقدت عقلك ؟ هذا أبي و من حقي رأيته... لن أعطيك فلسا !!!**

دفعت السرير قائلة :

- **حسنا إذن، يمكنك رؤية والدك صباحا.**
- **انتظري !! ستسمحين لي بالدخول و سأعطيك ما تريدين عندما أخرج من المستودع ،اتفقنا ؟**

مدت يدها نحوي قائلة :

- **اتفقنا، انتظر هنا خمس دقائق سأعود الآن !**

أخذت هاتفي المحمول ثم ركبت رقم نور على استعجال، رنين مميت من الطرف الآخر دون جواب، كررت المحاولة مرارا و تكرارا دون جدوى.

- **سيد نجم، يمكنك توديع والدك.**

أطلت الممرضة من باب المستودع ثم تلاعبت بعلكتها و أكملت :

- **سأنتظرك هنا !!**

رمقها بنظرة قاصية ثم دخلت المستودع، اقتربت من جثة كمال بخطوات بطيئة ثم أزحت الغطاء عن وجهه و وقفت أمامه في حزن أحدثه كالمجنون:

- **أ هذا ما أردت؟ ذهبت و تركتني بعد أن ألفتك !!**

اقتربت منه أكثر ثم أكملت كلامي و أنا أتأمل ملامحه :

- **صحيح أنك خطفتني و أخفيت عني حقيقة حياتي... من المفترض أن أكرهك الآن و أفرح لرحيلك.... لكنني لا أستطيع أن أكره من رباني و أحسن تربيتي، لا يمكن أن أكرهك و أنا أحمل لقبك !!**

كفكفت دموعي ثم أكملت :

- **أسامحك على ما فعلت بي... أعدك أنني سأعرف الحقيقة يوما ما !!**

ابتسمت بعفوية ثم قلت:

- **الوداع صعب جدا يا بابا كمال .**

قبلت رأسه ثم انصرفت بعد أن غطيت وجهه. تقدمت نحوي الممرضة بعد أن لاحظت خروجي من المستودع ثم مدت يدها إلي قائلة :

- **ألف درهم .**
- **ألف درهم ؟؟ من أجل هذه الدقائق داخل مستودع الأموات !!!**
- **لا يمكن أن يكون ابن رجل الأعمال كمال نجم بخيل...أنا ساعدتك و الآن حان دورك !!**
- **حسنا، انتظري قليلا، سأذهب للبنك.**
- **أريد نقودي الآن، لن أنتظر ولا دقيقة .**
- **هل تقبلين الدفع بالبطاقة البنكية؟**

تغيرت ملامح وجهها من الغضب إلى الاستغراب ثم أجابت :

- طبعا لا !!
- انتظري إذن سأجلب ما تستحقينه .
- لا تتأخر !

بعد بضع دقائق عدت إليها فإذا بها وقفت من كرسيها في قلق قائلة :

- هل أحضرت ما اتفقنا عليه ؟
- أجل، لكنني غيرت رأيي... لن أعطيك أي شيء

تقدمت نحوي و شرارة الغضب تتطاير من عينيها ثم قالت :

- غيرت رأيك ؟ بهذه السهولة ؟؟ .... أنت مجرد كاذب ما كان علي أن أثق في متكبر مثلك !! ... لو كان شخصا آخر لأعطاني المال دون تفكير !
- إذن، أنا لست الأول الذي تأخذين منه المال ؟
- لست الأول و لا الأخير و لست بحاجة لمالك القذر فأنا غنية عنه، سيأتي غيرك قريبا !!

خطوات متوازنة تتجه نحونا ببطء، تغير وجه الممرضة ما إن لمحت القادم ورائي، تحدث هذا الأخير

موجها كلامه لها :

- **نبيلة!!... أنت مطرودة.**

هرولت نحوه في قلق ثم أجابته بصوت مرتجف :

- **لكن، ما..ذا فعلت يا سي..دي المدير ؟**
- **من المفترض أن أتصل بالشرطة لكنني اخترت أن أعفو عنك و أطردك بدلا من السجن .**
- **أرجوك يا سيدي، لن أعيدها مرة أخرى لا تطردني، من سيتكفل بأولادي ...**
- **كان يجب أن تفكري مليا قبل أن تختاري النصب على الناس في أوقات شدتهم !!**

تحرك نحوي متجاهلا همهماتها الغير مفهومة ثم ربت على كتفي و قال:

- **أشكرك، لولاك لما استطعت معرفة الحقيقة!**
- **لا عليك هذا من واجبي .**

أجاب بابتسامة كلاسيكية كانت خاتمة حديثنا.

دخلت المنزل على نية إخبار أهله بأن الموت زارنا الليلة و أخذ معه روح كمال الطيبة، يجب أن يعرف كل

من في البيت أن سيده هزم على يد السرطان.

جالسة على الأريكة المقابلة لمدخل المنزل تراقب عقارب الساعة التي تأبى أن تتحرك سريعا، لاحظت نور دخولي فاتجهت نحوي بخطوات سريعة ثم تأملت وجهي الكئيب قائلة :

- **ما بك ؟ ما الذي حصل؟ تبدو متعبا !**

طأطأت رأسي لأخبأ سد الدمع الذي كان على وشك أن ينفجر أمامها ثم قلت بنبرة خافتة :

- **كمال!**

أدارت رأسها نحو المكتبة ثم بحثت خلف ظهري قائلة:

- **هل جرحك ثانية بكلامه ؟... لقد بحثت عنه في المكتبة و لم أجده... وعدني بأن يخبرني شيئا مهما هذه الليلة لكنه فضلك عني كعادته أليس كذلك ؟ ... أين هو الآن؟ هل ذهب لركن سيارته ؟**
- **ذهب .... ذهب كمال !**
- **أين ذهب هذه المرة ؟ غاب عني ما يقارب خمس أشهر و أمضى أسبوعا معك و الآن ذهب مجددا!!**

ليس لديه دقيقة من أجل زوجته !

- **ذهب كمال إلى دار البقاء... رحل يا نور !!!**
- **هل جننت ؟ ماذا تقول ؟! لن أقبل منك هذا المزاح!!**

رفعت رأسي نحوها و الدموع منهمرة على خدي ثم قلت :

- **فاز سرطان الدماغ و مات كمال... مات بابا كمال!**

تراجعت خطوتين للوراء ثم أمسكت رأسها و مسحت على وجهها كأنها توقظ نفسها من كابوس ما ثم قالت بعيون لامعة:

- **كاذب !! لو كان كمال مريضا لأخبرني، لقد كان بصحة جيدة، لا يمكن أن يموت !**

صرخت في وجهها بحزن قائلا :

- **لست كاذبا! لقد رحل كمال، مات سيد الدار، اتصلت بالإسعاف على أمل أن أنقذه في دقيقة الأخيرة... لكنني لم أستطع، لقد سافر من أجل العلاج و عاد قبل أن يكمله .**

- **من أجلك ؟ ... عاد من أجلك أليس كذلك ؟؟ عاد ليمضي آخر أيامه معك !! .... أنت سبب وفاته لو لم تكن هنا لأكمل علاجه، لكنك عدت قبل الوقت المحدد فاضطر للتضحية بحياته من أجل قضاء الوقت معك ... أنت سبب موته!!**

أمسكتها من يديها المرتجفتين ثم أجبتها بصعوبة:

- **أتفهم حزنك على فراقه و أعلم أنك لا تعنين هذه الكلمات القاسية... صدقيني أنا حزين بقدر حزنك، لن نستحمل فراقه يا نور لكننا يجب أن نتحد لا أن نتفرق !**

نزعت يديها بقوة ثم قالت :

- **أريد أن أرى زوجي... خذني إلى المستشفى الآن!**

(٨)

نتألم عندما نودع أحبتنا رغما عنا، ليس من حق أحدهم أن يتحدث عن الألم، إن لم يجرب فراق شخص سكن قلبه ... "الموت" كلمة نخشى لفظها، بل مجرد التفكير في قولها تجعلك تشغل مخيلتك البئيسة و ترسم سيناريوهات غير مرغوب فيها تميت أجزاء فؤادك المتبقية رويدا رويدا.

نور كانت تبدو ليلتها أكثر ألما و حسرة على فراقه، ربما السنوات التي قضيتها أنا بجانبه لم تكن كافية لأحزن بما يكفي على رحيله .

☆☆☆☆☆☆☆

صوت طقطقة الكعب العالي قطع هدوء المنزل، رفعت رأسي تجاه الباب لتستقبل عيناي تلك الابتسامة التي غابت منذ أشهر. أطلت نور أخيرا من الباب فرمقتني بنظرة حزينة جعلت جسدي يقفز من مكانه تجاهها، أمسكت يدها فقبلتها و قلت:

- **نور!! لقد حزنت على فراقه بما فيه الكفاية... أظن أن الوقت حان كي تبتسمي و تحيي الزهرة**

التي بداخلك !

طأطأت رأسها قليلا ثم أمعنت النظر في لباسها الأبيض ثم قالت :

- **غدا....غدا سأرتدي الألوان كما كنت و سأعود لحياتي الطبيعية.... مرت أربعة أشهر على رحيله إلى خالقه، لكنني ما زلت أفتقده رغم أنه كان يعاملني بقسوة إلا أنه زوجي ... كان زوجي رغما عني !!**
- **رغما عنك ؟**
- **نعم، قصة طويلة و صراع عائلات من أجل الثروة... لكنني أردت الزواج بشخص أحبه و يحبني، لم أهتم يوما للأموال ... أنا أردت فقط قلبا، لكنني أظن أنني لا أستحق !!**
- **عزيزتي، ستجدين يوما من يحبك بصدق، سيدة جميلة و شابة في أوائل الثلاثين تستحق كل شيء جميل**

ابتسمت ثم كفكفت دموعها فأكملت كلامي :

- **الحمد لله أنك ابتسمت ... حسنا ، غدا سنقيم**

ذكرى بمناسبة انتهاء عدتك... يمكنك دعوة رجال الأعمال المهمين و ربما العائلة كذلك!!

- **لا أظن أنه من الصواب أن أدعوهم، يجب أن تأخذ هذه الخطوة هذه المرة يا سيد نجم !**
- **نعم، ربما أنا سيد نجم لكنني مجرد طبيب نفسي، لست رجل أعمال ... و بصفتك أنت المسؤولة على الشركة يجب عليك دعوتهم .**
- **لو أنك وافقت على وصية كمال لكنت أنت المسؤول ،لكنك رفضت تحمل مسؤولية الشركة و اكتفيت بامتلاكها !!**
- **لو كان موضوع الملكية بيدي لرفضته، لكن كمال كان دقيقا في وصيته... تعرفين أنني درست الطب لسنين من أجل تحقيق هذا الحلم، لا لأن أغير مسار حياتي و أتحكم بالناس !!**
- **حسنا، سأرسل دعوات الحضور الليلة ، و سنكمل حديثنا فيما بعد!**

تقدمت نحو الأريكة ثم رمت حقيبتها البيضاء بعيدا ثم نادت :

- **فوزية !!**

بخطوات سريعة تقدمت نحوها الخادمة فوزية ثم قالت:

- **أمرك سيدتي !!**
- **أحضري لي كأس عصير .**

استدارت فوزية نحوي ثم قالت:

- **هل تريد أي شيء يا أخي ؟**

ابتسمت ثم ربتت على كتفها قائلا:

- **لا، شكرا... اهتمي بعملك !**

رمقتني نور بنظرة غريبة ثم قالت و هي تشير للأريكة أمامها :

- **سيد نجم!! تفضل يجب أن نتحدث !**

جلست أمامها في استغراب ثم أجبتها :

- **ما الأمر يا نور؟، ظننت أننا سنكمل حديثنا فيما بعد !**
- **لن نتحدث عن الحزن .... معك حق في كلامك، كفانا حزنا على فراقه، يجب أن نعود إلى حياتنا الطبيعية .**

- **إذن ما الموضوع الذي سنناقشه هذه المرة، الشركة و الوصية ثانية ؟**
- **سيد نجم ،مجرد هذا الاسم يبث الرعب في عروق الناس... لكنك لا تستغله كما يجب !!**
- **ماذا تقصدين؟**
- **منذ حوالي أربعة أشهر أصبحت أنت مالك هذا المنزل و جميع المنازل الأخرى الخاصة بسيد كمال نجم... مالك الشركة و مالك فروعها و علاوة على ذلك، مالك ثروته !!**
- **نور، تحدثنا بما يكفي عن موضوع الأملاك !**
- **عزيزي هذا الموضوع مختلف تماما... ربما لم تلاحظ معاملتك الخاصة للخدم، أنت تعاملهم كإخوتك!!**
- **و ماذا في ذلك ؟ أليسوا بشر ؟**

حركت يديها في الهواء ثم وضعت اليسرى في الأسفل و اليمنى أعلاها ثم قالت :

- **يدي اليمنى هو مستواك الاجتماعي و يدي اليسرى هو مستوى الخدم!! فعلا، هم بشر مثلنا لكنك سيدهم لست منهم و ليسوا منك .... تذكر**

جيدا أنك أنت سيد نجم الجديد، أنت لا تكسب احترامهم بتصرفاتك هذه، بل تجعل نفسك خادما مثلهم.

- لن أسمح لك بالتحدث بهذه الطريقة، تذكري أنني كنت منهم لولا أن كمال اختطفني، و لا تنسي أن أمي ما زالت منهم !!
- كمال أخذك لتعيش مع عائلة حقيقية بعيدا عن الفقر !
- لماذا اختارني أنا بدلا من أطفال الحي ؟
- أخبرني أن هناك امرأة ما تسجن ابنها منذ ولادته، و أراد أن ينقذك و يربيك !
- لكنه أبعدني عن أمي !! و رغم كل هذا الهراء فأمي الحقيقية تنتمي لعالم الخدم الذي تكرهينه !!
- ألا تستحيي من ذكر كلمة "أمي" جهرا هكذا ؟ .... أين هي هذه الأم التي سلب منها طفلها ؟ لماذا لم تبحث عنك طوال هذه السنين؟....ربما تزوجت و أنجبت أطفال آخرين لتملأ الفراغ الذي تركه غيابك عنها !!
- يكفي يا نور !! لقد حزنت على فراقي و بحثت عني و لم تجدني !!

- نعم معك حق، حزنت يوم أو يومين؟ .... عام أو ربما عامين؟ .. و نسيتك !!
- رغم أنني فارقتها منذ سنين، إلا أنني ما زلت أبحث عنها و لم أنساها .... أكيد أنها تبحث عني كما أفعل .... المسكينة، حاولت اللحاق بسيارة كمال لكنها تعثرت.
- ممم ... مسكينة!! لكنها تبقى أنثى على أي حال، ربما وجدتك قبل أعوام و تأكدت أنك بخير فأكملت حياتها دونك أو ربما فقدت الأمل في إيجادك و ظنت أنك قتلت من طرف مختطفك فنسيتك !
- كفى يا نور... هي أمي و ستبقى أمي حتى لو نستني !

اتجهت نحو الباب في غضب دون انتظار إجابتها، لكنها استوقفتني بكلماتها التي تسللت إلى أذني دون سابق إنذار، فوقفت دون أن أكلف نفسي عناء النظر إلى وجهها :

- ستبقى أمك حتى لو نسيتك، و ستعيش حياتها ... و أنت يا عزيزي ستجن نفسك خلف قضبان

عاطفتك و لن تستمتع أبدا بالحياة ... دعني أذكرك أنك أصبحت ملقبا ب "سيد نجم" منذ دخولك هذا المنزل... أصبحت طبيبا نفسيا و صاحب ثروة هائلة... لكنك تهين هذا اللقب عندما تضطر إلى التفكير أن لديك أما أخرى من الطبقة الفقيرة... قد تكون أنجبت أطفالا مع أحد الأغنياء و تهين الخدم بدورها... فلتعلم يا عزيزي أنك رميت رداء الفقر منذ سنين، فتمتع برداء الأغنياء ما دمت تستطيع ذلك !

استدرت نحوها ثم رمقتها بنظرة قاسية و أجبتها بصوت واثق :

- **أنا سيد نجم... و سأحافظ على لقبي، ليس من حقك التدخل في حياتي بهذه الطريقة، أن تكون غنيا لا يعني أن يكون لك قلبا أسود .... ربما أمي نستني و ربما سأفقد الأمل بدوري و أنساها... لكنها ستظل أول امرأة أحببتها و لن أكرهها !!**

تغيرت نظرات نور من الثقة إلى الحزن، ثم طأطأت رأسها في حزن و قالت :

- **حسنا، لك أن تحب من تشاء... في النهاية فضلت**

تلك الأم التي سجنتك داخل جدران مهترئة على أخرى أحبتك و اعتبرتك صديقها... للأسف، ليس من حقي أن يحبني من أحببته !

اقتربت منها قليلا ثم قلت بنبرة أقل قسوة:

- **أعتذر يا نور .... ربما ما كان علي أن أصرخ في وجهك، في النهاية أنت كنت سندي طوال حياتي و من واجبي احترامك... أحبك يا ماما نور!**

وقفت من مجلسها ثم اقتربت مني قائلة بصوت حنون و عينين مغرورقتين:

- **أنت ابني و صديقي وأخي، لا أريد أن تشاركني امرأة أخرى حبك !**

صمتت لبرهة ثم أجبتها بابتسامة سخرية:

- **لا يمكنني أن أعدك بشيء... ربما تغار زوجتي المستقبلية من أمي .**
- **لو كان بإمكاني أن أمنعك عن الزواج لفعلت ... لكنني سأرضى فيما بعد أن أتقاسم قلبك مع شريكة حياتك .... إلى أن نصل إلى تلك المرحلة، دعني أتمتع بكوني الوحيدة !!**

ختمت كلماتها بضحكة رقيقة تلاها دخول فوزية حاملة صينية فوقها كأس العصير الذي أمرتها نور بإحضاره، وضعت كأس العصير على المنضدة الزجاجية ثم وقفت دون حراك.

- **ما الأمر يا فوزية؟**

بادرتها بالسؤال، فاقتربت مني على استحياء ثم قالت :

- **في حقيقة الأمر يا أخي... أنا فقط أريد عطلة.**
- **خير !!**
- **غدا ستتخرج ابنتي من الجامعة و يجب أن أقف بجانبها ... كما تعلم.. ليس لها شخص غيري !!**
- **حسنا... فلتستمتعي!**
- **أشكرك يا أخي.**

انصرفت و البهجة تزين وجهها فاستدرت نحو نور قائلا :

- **بالمناسبة... سنقيم الذكرى في مبنى لوكس، لقد حجزت الطابق الثاني الخاص بالجنائز... يمكنك إرسال الدعوات في أقرب وقت ممكن... زيادة على ذلك، لقد طلبت من أحسن مصفف شعر بالمدينة الحضور غدا من أجلك.**

- شكرا لك، هذا لطف منك !
- قبل أن أنسى، لقد اشتريت بعض الفساتين... ستجدينها داخل خزانتك... تأكدي من أن تكوني الأكثر أناقة غدا !!

ابتسامة رقيقة كانت الإجابة على كلماتي الأخيرة، بادلتها بابتسامة وداع ثم انصرفت و قلبي الصغير يخفق بقوة، لا أعلم أ بسبب ابتسامتها التي تذيب فؤادي أم بسبب كلماتها القاسية التي أثارت ضجة كبيرة داخل عقلي، أيعقل أنني غبي لهذه الدرجة... أنتظر شخص لأكثر من عشر سنوات على أمل أن أجده... يجب أن أعي أن ذلك الطفل الصغير الذي يشحن قوته من حضن أمه قد مات داخلي...لقد كبرت بما فيه الكفاية لتعلم أن أمك نستك تماما، ربما ملأت قلبها بابن آخر غيرك ... أنا منسي لا محالة. أمضي الوقت بحثا عن أمي و لا أعي أن هذا الوقت الذي أمضيه في الخزن و الحسرة و اليأس على فراقها و عدم إيجادها ... هذا الوقت.. هو نفسه عمري!! إلى متى سأبحث دون جدوى؟ إلى متى سألعب دور العجوز البائس في جسم شاب ؟ إلى متى سأحزن على

فراقها؟ ... متى سأفتح عيناي و ألاحظ أنني أملك كل شيء يحتاجه أي شاب في سني؟... سيد نجم الجديد، يجب أن تستمتع بحياتك !! .... كل يوم تعالج مشاكل نفسية معقدة، فكيف يصعب عليك حل مشكلتك ؟ ....من الآن فصاعدا يجب أن تدفن الطفل الصغير الذي يحتضر داخلك و تعيش بروح جديدة، على أمل أن تنسى الماضي و تهتم بمن يحبك بحق !!

أشرقت الشمس لتعلن انطلاق يوم جديد. جالس في شرفة غرفتي، أتأمل أمواج البحر الهادئة، يزين وجهها انعكاس السماء التي تبدو اليوم مختلفة عن الأيام الخوالي، زرقتها الممزوجة مع ذاك اللون الذهبي المشرق في الأفق ترغمك على عشقها دون تردد. رائحة قهوتي الصباحية أرغمتني على قطع حبل التأمل و صب تركيزي الكامل على القادم نحوي .تقدم الخادم ثم وضع الفنجان على المنضدة بعدها جلس أمامي واضعا رجلا فوق الأخرى، رمقته باستغراب صامت في انتظار كلماته :

- صباح الخير يا أخي.

- صباح الخير...ما الأخبار التي جعلتك تشاركني مجلسي دون استئذان ؟
- لا شيء سوى أنني اشتقت للحديث مع صديقي العزيز !
- لا أرى شيئا مهما، يجعلنا نبدأ حديثنا في الصبح !
- كما تعلم يا أخي....

حمل فنجان قهوتي ثم رشف منه فأعاده مكانه و هو يكمل حديثه :

- لا أتمكن من رؤيتك طوال النهار... دائما ما تكون مشغولا... بل حتى الرحلات التي تجمعنا مع باقي الرفاق انتهت منذ أشهر ... بصراحة يا صديقي، أفكر في تنظيم رحلة إلى مراكش خلال نهاية الأسبوع، سيكون باقي الرفاق هناك أيضا و لن تتم الرحلة إلى بوجودك معنا !!

رمقته بنظرة صارمة ثم قلت بانزعاج :

- حسنا، سأفكر بالأمر .... يمكنك الإنصراف!
- آه يا صديقي، أصبحت مملا، أين الروح المرحة التي اشتقنا لها ....لا يمكن أن أتركك وحدك دون

بعض الدعابات و الضحكات.... يبدو أنك فقدت ابتسامتك منذ وفاة سيد كمال !

- **لست في مزاج جيد للضحك... يمكنك المغادرة، أنا جاد!!**
- **حسنا، لا داعي للغضب، سأنصرف الآن... أنتظر إجابتك !**

أبعدت فنجان القهوة عني باشمئزاز ثم استنشقت نسيم الصباح الناعم، كأنني أسترجع هدوئي المفقود ... هذا يوم جديد و خطوة جديدة نحو الأمام، اليوم سأرمي وراء ظهري كل الأحزان و سأستمتع بحياتي كسيد نجم حقيقي !!

ترجلت من سيارتي بعد أن فتح السائق الباب، التفت ورائي لأتأكد من أن المكان يرقى إلى ذاك المستوى الذي يجعل نور تبتسم إعجابا به، و لم لا و هذا الأخير يتمتع بواجهة زجاجية سوداء جعلته يبدو كناطحة سحاب غامضة. دنوت من نور ثم حدثتها بهدوء:

- **هذا يومك، لم يعد هذا اللون الأبيض يليق بجمالك، أنت أجمل من أن تكوني أرملة يا ماما نور**

- أشكرك يا عزيزي.

مشينا عبر السجادة الحمراء بكبرياء ثم مررنا بالحراس قبل أن نلج المبنى فتدهشنا تفاصيله الراقية، اتجهنا نحو المصعد الزجاجي الذي يمكنك من رؤية تفاصيل كل طابق على حدة، و ها هو الأول مخصص لأعياد الميلاد، تراه مليئا بالبالونات و كل الديكور الذي يخص الحفلات، أما بالنسبة للطابق الثاني فهو مخصص لحفلات الزفاف، جدبتني تفاصيله السامية، ها هو الكرسي الضخم الأبيض الخاص بالعريس و العروس، تحسبه عرشا من شدة أناقته ،هنا تبدأ حياة جديدة! .... كان للطابق الثالث رأي آخر، فظلمته لم تسمح لي برؤية محتواه، ربما يكون طابقا خاصا أو شيء من هذا القبيل، توقف المصعد مصدرا رنة جميلة، معلنا وصولنا إلى الطابق المنشود، استقبلتنا سيدتان ترتديان ملابس سوداء، تحمل الأولى سلة ورود و تحمل الأخرى سلة مليئة بصور كمال مصغرة.

أخذت نور واحدة ثم وضعتها على قميصي قائلة:

- سيكون كل شيء بخير.

شرود طفيف استحوذ على عقلي، لم تكن إلا ثانيتين، لكن الوقت لم يرحمني و تحالف مع ذاكرتي، فتذكرت كل الأوقات الجيدة التي قضيتها مع كمال، لم يكن علي أن أحكم عليه من تصرفاته، ذاك المراهق الطائش الذي كنت عليه لم يسمح لي بتحليل نظراته، لم أكن أرى أمامي سوى رجل عملاق اختطفني من بين أحضان أمي و مع مرور السنين تغير ذاك العملاق إلى مجرد رجل عادي كباقي الناس، لم يكن عملاقا كما اعتقدت، لكنه كان رجل أعمال متكبر و قاسي، ربما لو خيروني آن ذاك بينهما لاخترت العملاق، ما كنت لأختار من سجنني خلف أسوار الغربة، بعيدا عن موطني، هذا ما كنت أعتقد منذ البداية !! أدركت في وقت متأخر أن رجل الأعمال كمال نجم يملك قلبا من ذهب، لم يختطفني إلا ليربيني كابنه و يبعدني عن تلك الحياة الأليمة، و لم يسجنني بعيدا عن الوطن إلا لأدرس و أصبح أهلا لتحمل مسؤولية لقبي...نفس الرجل الذي كرهته ضحى بعلاجه ليقضي معي آخر أيام حياته و يزرع في قلبي محبة الناس، و كيفية السيطرة على

الأمور... رحمك الله يا قدوتي الحسنة!!

قاطع شرودي رنين هاتفي، تحسست جيوب سترتي بهدوء، ثم أخرجت المحمول فأجبت المتصل :

- **ألو!**

جاء صوتها الرقيق من الجهة الأخرى بقلق:

- **سيدي، هناك مجموعة من النساء في انتظارك.**
- **نساء ؟ ... ما خطبهن ؟ ... هل حللت شخصيتهن؟**
- **نعم يا سيدي، ثلاث نساء يافعات، ينتظرنك بفارغ الصبر... الأولى تبدو كأنها عجوز في جسد شابة، تدعي أنها مصابة بالاكتئاب... الثانية سيدة أنيقة تبدو حالتها جيدة، إلا أنها حدثتني عن مشاكلها الأسرية التي جعلتها تلجأ إلى طبيب نفسي قبل فوات الأوان ...**
- **و الثالثة ؟**
- **الثالثة فتاة عشرينية أصيبت بصدمة لما علمت أن زوجها مات... و المشكلة الأكبر هي أنها تحت**

ضغط تقاليد عائلتها التي تجبر كل امرأة توفي زوجها بالزواج من أخيه أو أحد أقاربه !

- حسنا، أطلبي من السيدة الأولى الدخول إلى مكتبي ثم شغلي لها موسيقى هادئة إلى حين قدومي ...
- ماذا عن الثانية و الثالثة ؟
- أخبري الثالثة أن تنتظر قليلا حتى يحين دورها... و بالنسبة للثانية، أبلغيها أنها لم تأخذ موعدا من قبل و أكدي لها أن حالتها صعبة و ستبدأ العلاج غدا !
- لكن يا سيدي، لا أظن أن حالتها صعبة إلى هذه الدرجة .... أليس كذلك ؟
- أعلم يا حفصة، و لهذا السبب أجلتها للغد.
- حسنا يا سيدي، سأنتظر قدومك !
- أنا في طريقي إلى العيادة .

تمشي الرياح بما لا تشتهي السفن، أنا سفينة ضائعة وسط محيط أفكاري الهائج، تتلاعب بي رياح الحسرة فتأخذني يمينا ثم شمالا. سؤال واحد يتلاعب داخل دماغي و يخرب خلاياه المتبقية، ربما هذا التساؤل

يراودني كلما وضعت روحي و كياني مكان مريضي، لأشعر كما يشعر و أفهم طريقة تفكيره المعقدة، "هل أستحق هذا المنصب فعلا ؟"... كثيرا ما أعجز عن فهم التفكير الانتحاري لكل مريض، بل أكتفي بتهدئته و اقتراح حلول أعلم أنها شبه مستحيلة التنفيذ، و أنهي الحصة العلاجية بخربشة على ورقة كأنني أكتب رسالة سرية لصيدلاني.... لكنني أثق أني الطبيب المناسب في المكان المناسب عندما أرى تحسن نفسية الكبار و الصغار أمام عيناي، تشاركني فرحتي مساعدتي حفصة، تلك العشرينية المحجبة التي كانت يوما ما مجرد مريضة تتعالج من صدمة نفسية... و لما لا تصاب بصدمة و انهيار، فعائلتها تخلت عنها و توعدت بقتلها... هذا فقط لأنها عادت إلى قريتها بعد غياب دام شهرين، تضم رضيعا بين ذراعيها.... لم يسمح لها أهلها بالكلام و اتهموها بالغدر و الخيانة، رموا الرضيع في البئر دون رحمة و دون أن يعلموا أنه ابن فتاة من فتيات القرية تركته لها قبل أن تموت و أوصتها بالعناية به!! .... الحياة لا ترحم أحدا، يجب أن تكون يقظا !!

- أعتذر يا سيدي، هل يمكنني الدخول ؟
- نعم، تفضلي .

اقتربت من المكتب بهدوء ثم اطلعت على بعض الورقات بين يديها فقالت :

- سيدي... أ تتذكر ذاك المريض الذي زارنا منذ يومين؟ ... كان يعاني كثيرا و يتحدث بهستيرية ثم يهدأ بعد ذلك ، أ تتذكره ؟
- ن.... نعم تذكرته، لديه موعد بعد أسبوعين .
- معك حق، لكنه اتصل صباح اليوم و طلب مني أن أحجز له موعدا غدا .
- تعرفين أنني جعلتك المسؤولة عن هذه الأمور، لا داعي للاستشارة يا عزيزتي .
- ليس الأمر كما تعتقد... أحدثك لأن جدول هذا الأسبوع امتلأ !

نهضت من كرسي مكتبي ثم دنوت منها قائلا :

- لا داعي للقلق يا حفصة، الأمر بسيط... حددي له موعدا الأسبوع المقبل.... لا تجهدي نفسك في التفكير، لا أريد أن أراك عجوزا في جسم شابة!

أبعدت عينيها في خجل ثم حركت رأسها علامة الموافقة و خرجت من المكتب بخطوات متسارعة .

ألقيت نظرة خاطفة على ساعة يدي التي كانت تشير إلى الواحدة زوالا، ارتديت سترتي ثم حملت مفاتيح سيارتي و غادرت العيادة متجها صوب الشاطئ لأستنشق تلك الرائحة المدهشة قبل الانطلاق نحو عالم الأكاذيب حيث سأحاول التأثر بدموع التماسيح .

جلست أمام الشاطئ أحاول الابتعاد عن الرمال المتطايرة حبيباتها، و أتمتع بهدير الأمواج الساحر.... و استنشاق الهواء النقي المختلط برائحة المياه المالحة الجميلة.

- سيدي، اشتري مني جريدة أرجوك !

التفت تجاه الصوت، فإذا به طفل صغير أسمر البشرة، أخضر العينين، يقف حاملا مجموعة من الجرائد، ينتظر قلبا يرق لحاله و يشتري منه الجريدة مقابل دريهمات لا تسمن و لا تغني من جوع.

- يجب أن تكون في المدرسة يا صغيري، من الذي أخرجك هنا ؟

التفت يمينا ثم يسارا فأجاب بتلعثم :

- أ...نا.. أ..نا... خ..رج..ت وح...دي.
- ما اسمك ؟

استدار ثانية يمينا ثم شمالا فألقى جرائده أرضا و هرب، ناديته مرارا لكنه فر و كأنما رأى شبحا.

اقترب مني رجل قصير القامة، أسمر البشرة، يرتدي معطفا طويلا أسود و قبعة سوداء... في بادئ الأمر اعتقدت أنه شرطي متنكر ،إلا أنه وقف أمامي ثم رفع رأسه تجاهي في جرأة قائلا :

- أنت !! ... أنت تخيف الأطفال !!
- لا يا سيدي، هرب الطفل من تلقاء نفسه.
- أتحسبني غبيا لأصدق أن صبيا يكسب قوت يومه من بيع الجرائد، قد تخلى عنها و هرب دون سبب!!!
- من حضرتك يا سيدي ؟
- رجل غريب ليس إلا !!
- عذرا، يجب أن أذهب... ليس لدي وقت !

أمسك قميصي بعنف ثم قال بصوت يشوبه الغضب :

- اسمع يا هذا!! ابتعد عن الطفل و إلا ....

قاطعت كلامه بإمساكي يده بقبضة من حديد، ثم قلت بصوت هادئ بعد أن لمحت تغير ملامح وجهه :

- و إلا ماذا ؟

أفلت يده بصعوبة ثم أجاب بصوت قلق :

- أنت لست سوى متعجرف غبي، ستندم على فعلتك!

تراجع للخلف بخطوات سريعة، ثم ركب سيارة سوداء فاختفى عن الأنظار. لملمت الجرائد المبعثرة ثم ألقيت نظرة خاطفة على الساعة، فإذا بها تشير إلى الثانية و الربع زوالا، أدركت حينها أنه ما من وقت للبحث عن الطفل ،يجب أن أحضر الذكرى بأسرع وقت.

ركبت سيارتي ثم انطلقت مسرعا. بعد هنيهة، أصابني دوار لم أشعر بمثله من قبل فأغمضت عيني لثواني كي أسترجع تركيزي، فتحتهما بصعوبة، فإذا بي أرى خيال شخص يركض أمام السيارة بسرعة، لم تكن ردة فعلي سريعة آن ذاك، فلم أتمكن من الضغط على المكابح حتى فات الأوان.

خرجت من السيارة مسرعا أتفقد الضحية وراء غفوتي، فإذا بي ألمح صاحب الجرائد نفسه منبطحا على الأرض ،يتلوى في ألم، حملته بحذر فأدخلته السيارة قبل أن يلاحظ أحد، انطلقت مسرعا إلى المنزل حيث اتصلت بصديقي المسعف لكي يهتم به في غيابي.

وقفت أمام باب غرفة الضيوف أنتظر عودة وعي الطفل، أخبرني المسعف أن فقدانه للوعي أمر طبيعي فاطمأن قلبي، رنين هاتفي أفزعني من جديد، اطلعت على شاشته فإذا بنفس الشخص يعاود الاتصال بعد رفضي اتصالاته السابقة، أجبت بعد تردد :

- **ما الأمر يا نور؟**
- **أين أنت؟ هل ما زلت في العيادة ؟**
- **لا...أنا.. في المنزل**
- **أ جننت أم ماذا؟ تركتني وحيدة و ذهبت إلى المنزل!**
- **هل حضر الجميع ؟**
- **نعم، و يشعرون بالملل... ينتظرونك لتلقي الكلمة النهائية !**
- **هل بإمكانك أن تلقيها بدلا مني ؟**

- لقد فقدت عقلك... أنا الأرملة أنا ملكة هذه المناسبة؟ يجب أن أغير ثيابي في آخر الحفل لتبقى صورتي راسخة في أذهانهم... لا يمكنني إلقاء الكلمة، أنت سيد نجم لا أنا !
- أنا قادم .

أغلقت الخط دون انتظار الجواب، ثم اتجهت نحو الصبي الذي بدأ بفتح عينيه ببطء، استدرت نحو المسعف الذي لملم أدواته بعد أن انتهى من إسعافه ثم قلت :

- أتمنى أن يكون بخير يا صديقي!
- أخشى أن ساقه كسرت... غير ذلك، فهو يعاني من جروح و حروق منها القديمة و منها الحديثة.
- ماذا تعني ؟
- أظن أن شخصا ما عنفه، من المستبعد أن تكون الحادثة سبب كافة الجروح المنتشرة في أنحاء جسمه .
- و ماذا عن ساقه المكسورة... هل يمكنه التعافي بالمنزل دون الحاجة إلى الذهاب إلى المستشفى؟
- لا أظن ذلك، يجب أن يشخص طبيب ما حالة

الكسر، أتمنى أن لا يكون كسرا عميقا !

- **حسنا، أشكرك على مساعدتك، هل يمكنك البقاء هنا إلى حين عودتي... لن آمن الصبي لشخص غيرك !**
- **حسنا، لا تتأخر !**

أشار المصعد إلى الطابق الرابع، قلبي يخفق بشدة و كأني سأجري اختبارا... أو ليس إلقاء كلمة أمام مجموعة من رجال الأعمال اختبارا؟ خرجت من المصعد ثم تقدمت نحو الأمام بهدوء و أنا أحاول جاهدا إظهار الجانب البرجوازي من شخصيتي، صعدت المنصة، ثم أطلت النظر في سورة كمال التي تتوسط الغرفة، ثم أمسكت الميكروفون و تحدثت بطلاقة، و ما إن نطقت كلماتي الأولى حتى عم الصمت و فزت بانتباههم:

- **السلام عليكم، نجتمع اليوم لنخلد ذكرى وفاة رجل عظيم، كان له الفضل علينا جميعا، رجل يتمنى كل واحد منا أن يصل إلى مستوى وعيه، سيد كمال نجم رجل الأعمال العظيم، صديق وفي، أب**

حنون و زوج مثالي... لن ننساه أبدا...في يومنا هذا، اكتملت عدة زوجته، لا ننسى أنها مثلت دور السيدة المناضلة و حاولت تسيير الشركة بمفردها رغم أنها كانت تتلقى بعض الإهانات... لأنها امرأة، أريدكم جميعا أن تقفوا احتراما للأم و الزوجة و الأخت المثالية سيدة نور نجم .

انطفأت الأضواء و سطع ضوء أبيض، ركز على إظهار الأرملة بحلة أخرى، ظهرت نور تتوسط القاعة، فستانها الأحمر زادها روعة، مشت نحوي بكعبها العالي محافظة على كبريائها الذي لم و لن يتلاشى أبدا، مددت يدي إليها لأساعدها على الصعود إلى المنصة، أخدت الميكروفون من يدي ثم أزاحت شعرها الأشقر عن كتفيها ليظهر بياضهما الناصع، تلاعبت بعقدها في توتر ثم بدأت الحديث برقة :

- **سيداتي، سادتي ... أشكركم على حضوركم هذه المناسبة، أعرف جيدا أنني غنية عن التعريف فأنا المسؤولة عن مجموعة شركات نجم، أريد فقط أن أشكر كل من ساندني في هذه الأوقات العصيبة، و أشكر كل من سخر مني لأنني أرملة**

صغيرة السن... لا أحمل أية ضغينة نحوكم، فالزمان سينتقم منكم .... اليوم نقيم الذكرى الرابعة و الأخيرة لوفاة سيد كمال نجم و اليوم انتهت عدتي... فليعلم الجميع أن العدة حزن على الفقيد و انتهاؤها لا يعني نسيان كمال، لكنني كأرملة، سأظل حزينة على فراقه... أشكركم على انتباهكم !

قبل أن تعيد لي الميكروفون، جاء صوت من بين الحضور قائلا:

- **بما أنك ما زلت شابة، هل ستتزوجين شخص آخر؟**

ابتسمت ثم أجابت بثقة :

- **أولا أشكرك على سؤالك، حزني على زوجي المتوفي لا يعني حرماني من حب شخص آخر...القلب من يحكم لا أنا !**

تحت تصفيقات الحضور نزلت من المنصة، أحسست آن ذاك بعزة نفس لا مثيل لها، تمنيت لو كنت رجل أعمال مثلهم... ربما سأبدو أرقى بنظرهم... إلى حد

الآن، يكفي أنني طبيب ناجح. لمحت من بعيد وجها مألوفا، اقتربت بهدوء لأكتشفه، فإذا بي أتفاجأ بنفس الرجل القصير الذي قابلته اليوم، اشتعلت نار الغضب داخلي، فتوجهت نحوه كالبركان الثائر، وقفت أمامه ثم رمقته بنظرة قاتلة، فإذا به يبتسم باستهزاء متجاهلا غضبي، ثم قال بعد أن تناول كأس عصير من النادل :

- **أي خدمة يا سيد نجم ؟**

أمسكت قبضة يدي بصعوبة ثم أجبته و أنا أحاول السيطرة على غضبي:

- **ماذا تفعل هنا ؟**

أدار وجهه نحو الحضور ثم أخرج بطاقة من جيب سترته و قال بنفس النبرة السابقة:

- **سيد إبراهيم عبيد، صاحب شركة عبيد للأقمشة... صديق سيد كمال نجم رحمه الله.**
- **لم أسمع باسمك من قبل !**
- **ربما لأنك فقط طبيب نفسي ... لا علاقة لك بعالمنا!**

أمسكت مفاتيح سيارته الموضوعة على المنضدة، ثم مددتها له بهدوء، و ما إن حاول أخدها حتى أسقطتها أرضا و قلت :

- سيد عبيد، ليس مرحبا بك هنا... أطلب منك المغادرة !

التقط مفاتيح سيارته المرمية، ثم تراجع خطوتين للوراء و أوقع كأس العصير فانكسر و تناثر زجاجه، التفت الحضور إليه بدهشة، فإذا به يمسك عنقه و يحاول التنفس بصعوبة كأنه استنشق غازا ساما، اقترب منه الناس في حيرة، فمنهم من أعطاه الماء و منهم من ساعده على الجلوس، أما أنا فبقيت متجمد الأعضاء أشاهد ما يحدث أمامي و علامات الاستفهام تملأ رأسي. بعد دقائق، اطلع علي ثم رمقني بنظرة ساخرة قبل أن يلتفت إلى الحضور و يقول بصوت عال و هو يشير بإصبعه إلي :

- لقد حاول خنقي، حاول سيد نجم قتلي ... إنه شيطان على هيئة إنسان، لولا إسقاطي الكأس لما انتبهتم لي !!

تحولت جميع النظرات إلي، تقدمت نحوي نور و أمسكت ذراعي ثم وجهت نظرها إلى العيون المستغربة و قالت بصرامة:

- **إلى ما تنظرون؟ أ فعلا تصدقون أن سيد نجم يمكنه فعل شيء كهذا... لا بد أن هذا الشخص كاذب !!**

وقف إبراهيم ثم مشى نحونا و هو يصفق قائلا:

- **تمثيل رائع، تبدين كلبؤة تحمي أسدها.... و ما لهذا الأسد الصامت؟ هل ابتلع القط لسانه؟ ... يحاول قتلي ثم يختبئ خلف النساء... جبان !**

أزحت يد نور عن ذراعي بغضب، ثم اقتربت منه فأمسكت قميصه قائلا:

- **لن أرحم إهاناتك هذه يا هذا و الله سأنتقم منك يوما... غادر الآن و إلا قتلتك !**

أبعد يداي عنه ثم قال و هو يستعد للانصراف :

- **طبيب نفسي لا يتحكم حتى في غضبه.... ساعد نفسك أولا قبل أن تقتل أحدهم يوما !**

ثم انصرف تاركا ورائه نظرات دهشة محيطة بي، حاولت نور إخماد لهيب الفضول و الدهشة التي بدت على وجوه الحضور، فيما غادرت أنا المكان دون تقديم أعذار كاذبة .

☆☆☆☆☆☆☆

تسللت أشعة الشمس الدافئة إلى غرفتي مخترقة الستارة، فتحت عيناي بهدوء، أدرت رأسي ببطء لأتمكن من رؤية التوقيت الصباحي كالمعتاد، الساعة تشير إلى منتصف النهار، ربما فكرة السهر ليلة أمس، لم تكن فكرة جيدة، انتصف النهار و أنا ما زلت داخل غطائي، ما أجمل أن تكون سيد البيت، لم يجرؤ أحد الخدم على إزعاج سيدهم، أخيرا أحس ببعض الاحترام. تحسست هاتفي المحمول قرب وسادتي، أنرت شاشته ليظهر أمامي إشعار مفاده أن حفصة اتصلت عشر مرات على هاتفي دون جدوى، جلست على جانب السرير ثم اتصلت بها، فأجابت بعد رنة واحدة قائلة بصوت مرتجف :

- يجب أن تأتي الآن يا سيدي، الأمر خطير !!

- أنا قادم حالا !

بعد نصف ساعة، وصلت إلى العيادة، دخلت بسرعة فإذا بي أرى حفصة تمسح دموعها بطرف كمها، اقتربت منها فسألتها :

- ما الأمر يا حفصة؟

أدارت رأسها نحوي ثم قالت بصوت مرتجف :

- المريض الذي طلبت مني الأسبوع الماضي تأجيل موعده... جاء اليوم و كانت حالته مزرية، وجدته ينتظرني أمام باب العيادة و ظل يترجاني أن أساعده... حينها اتصلت بك مرارا و تكرارا، حاولت مساعدته، لكنه بدى كالمجنون، يردد كلمات غير مفهومة و يطلب المساعدة، لم أستطع مساعدته فأعطيته حقنة مهدئة...حينها رن هاتف المكتب و دخلت للرد على الاتصال...

سكتت لبرهة التقطت فيها أنفاسها، ثم أكملت و هي تحاول السيطرة على دموعها:

- قضيت ما يقارب ربع ساعة في الرد على

المكالمات المهمة...و عند خروجي من المكتب، وجدت المريض مستلقيا على الأرض دون حراك، حاولت إيقاظه دون جدوى ....

قاطعت كلامها و أسرعت نحو غرفة الانتظار، فإذا بي أرى الفراغ... لا أحد !! ، استدرت نحوها و حدثتها دون كلام، فإذا بها تتحرك نحو مكتبي قائلة :

- لقد وضعته داخل مكتبك... لأخفيه عن الأنظار .

أغلقت الباب خلفي متجاهلا وقوفها أمامه، اتجهت نحو الجثة المرمية على الأرض، وجه بنفسجي اللون، عينان جاحظتان يغلب على بياضهما حمرة مخيفة، رغوة بيضاء تغطي شفتيه، و جسد بارد كالثلج، لا أثر للحياة، أدرت رأسي يمينا، فإذا بي ألمح علبة دواء مألوفة تمسكها قبضة يده، أخذتها منه بحذر لأكتشف محتوى الدواء، فإذا بي أصعق بأنه نفس الدواء الذي وصفته له منذ أسبوع، يعالج مرضى الاكتئاب الحاد، دواء في غاية الخطورة، كان يجب أن يتناول قرصا واحدا في الأسبوع، لكن العلبة ينقصها ستة أقراص،

لابد أنه تناول أربعة أو ربما خمسة دفعة واحدة، ليقضي على الاكتئاب نهائيا أو ربما كان هدفه الانتحار منذ البداية. خرجت من المكتب بعد محاولات إنقاذ بائت بالفشل، هرولت حفصة نحوي قائلة :

- **ما الذي سنفعله الآن يا سيدي؟**
- **بل ما الذي سأفعله الآن... أنت بريئة مما حدث، لا تخافي !**
- **هل ستتصل بالشرطة ؟**
- **طبعا لا!! .... أظن أني سأخفي الجثة، لا أريد أن أدخل السجن بتهمة الإهمال، ثم أفقد شهادتي كطبيب نفسي ... و بالنسبة لنا، سننسى ما حدث و سيبقى هذا السر مدفونا، أليس كذلك ؟**

وضعت يدها على فمها ثم حركة رأسها علامة الموافقة، فأكملت كلامي :

- **حسنا ... يمكنك الآن المغادرة، ألغي جميع مواعدي لهذا الأسبوع، و أخبري الناس أنني سافرت البارحة إلى خارج البلاد و سأعود بعد**

أسبوع... و لك هذا الأسبوع راحة، يمكنك المجيء إلى العيادة خلال الأسبوع لاستقبال المرضى الجدد، لك الاختيار !

- هل يمكنني المغادرة الآن ؟
- نعم، تفضلي .

ابتسمت ثم غادرت، خرجت بدوري بعد دقائق حاملا جثة السيد على ظهري، أسرعت بوضعها داخل السيارة قبل أن يراني أي شخص، ثم انطلقت مسرعا نحو أبعد بحر. أحسست أن هذا هو الحل الوحيد للتخلص من جثة مختل عقليا، لن أجعل مجنونا يدخل سيد نجم السجن !!

واقف على صخرة عملاقة، أراقب ارتطام الجثة بالصخور التي تفصل الجلد عن اللحم من شدة قساوتها، تلاعبت أمواج البحر بالمجنون ثم ابتلعته، أشعلت سيجارتي التي قضيت معها أسبوعا حلوا، لا أدري لما كرهت التدخين يوما! لكنني على يقين أنه كان خطوة جيدة من أجل الاحتفال بحياة الأسياد الجديدة، حيث كل شيء ملكك !

حل الغسق و اقتربت الشمس من مغربها، دخلت منزلي فاستقبلتني الطباخة في تردد قائلة:

- **أخي، كنت أنتظرك... مساعدتي أخذت إجازة لمدة يومين ، و لن أستطيع العمل وحدي !**

رمقتها بغضب ثم قلت بنبرة صارمة :

- **أولا، أنا سيدك... لا تربط بيني و بينك صلة أخوة... و ثانيا، من أعطى مساعدتك الإذن بالذهاب ؟**
- **آسفة يا سيدي، لقد حاولت منعها من الذهاب دون إذن، لكنها قالت أنك ستتفهم أنها بحاجة لإجازة .**

ابتسمت بسخرية ثم أجبها :

- **و ما الحدث الطارئ الذي دفعها للذهاب دون انتظار مجيئي ؟**
- **أرادت السفر مع عائلتها قبل حلول الليل.**
- **أريد أن أراها داخل المنزل بعد ساعتين، و إن لم تأتي فلتأخذ إجازة إلى الأبد!**
- **أرجوك يا سيدي، لا تكن قاسيا !!**

- أظن أنك تحتاجين إجازة أيضا !

تراجعت خطوتين للوراء ثم قالت :

- لا يا سيدي!
- إذن، فلتبحثي عن مساعدة جديدة، و احرصي على أن تكون مطيعة !!
- أمرك سيدي .

صعدت الدرج بهدوء مستمتعا بحلاوة السيادة و السيطرة على الناس، اتجهت إلى غرفة نور بعد أن سألت أحد الخدم عن مكانها، دلفت الغرفة بعد طرقات دون جواب، وجدتها مستلقية على سريرها، نائمة كالملاك، تضم الطفل الأسمر الصغير الذي استيقظ على إثر دخولي، اقتربت منه ثم ابتسمت بحنو و كأنني أرى نفسي تائها في منزل مختطفي، رأيت في عينيه بريق البراءة المختلط مع لهيب ألم صامت، أمسكت يده بحنان بعد أن جلست على طرف السرير، ثم حدثته بصوت خافت مخافة إيقاظ عزيزتي النائمة :

- كيف حالك اليوم ؟
- لم أعد أشعر بساقي يا سيدي !

- اختفى الألم إذن !!
- لم أعد أشعر بالألم... و كأن ساقي ماتت، لا أشعر بشيء!

نظرت إلى نور التي بدأت تفتح عينيها ببطء، ثم حملت الصبي و أخذته إلى داخل السيارة، انطلقت إلى مكان أعرف أنه الحل الأنسب لمشكلتي، دموع اليأس انسابت على خدي في غفلة مني، وجهت نظري إلى المرآة لأتمكن من رؤية الصبي الجالس بهدوء.

ارتدت السماء عباءتها السوداء المزينة بجواهر لامعة تجعل النفس تهدأ غصبا عنها.

بعد مرور ساعة، وصلنا إلى مكان لطالما كرهت القدوم إليه، خرجت من السيارة تاركا الصبي داخلها، ثم توجهت نحو باب صدأ يتمركز وسط بيت مقزز الشكل، ضربت الباب بقدمي لتجنب لمسه، و ما هي إلى ثوان حتى فتح مخلفا ورائه أزيزا مزعجا، خرج رجل كبير السن، طويل القامة و مترهل الجسم، يرتدي ملابس بيضاء مال لونها إلى الرمادي من شدة اتساخها، رمقني بنظرة خبيثة قبل أن يقول بصوت خشن :

- يبدو أنك سيد نجم، أليس كذلك ؟
- نعم، أنا هو...

أدرت رأسي نحو السيارة ثم أكملت كلامي :

- أخبرني الطفل أنه فقد الشعور بساقه، فكرت في أنك ستساعدني !
- من أعطاك عنواني؟... و من قال أنني أستطيع المساعدة ؟.... أنا لست طبيبا!
- لست غبيا يا رجل! تعلم جيدا أنني زرت هذا المكان مرارا من أجل مساعدتك، و الآن حان الوقت لتساعدني !
- أحضر الولد ثم انتظر في السيارة، و لا تغادرها مهما حدث، سأعطيك إشارة فور انتهائي !
- حسنا، سأنتظرك .

استيقظت من غفوتي مرعوبا، أدرت رأسي يمينا ثم شمالا فإذا بي داخل سيارتي، ألقيت نظرة سريعة على ساعة يدي، فإذا بها تشير إلى الواحدة و النصف بعد منتصف الليل، مرت ٣ ساعات على انتظاري، تأكدت من أن هاتفي المحمول ما زال على وضعية الطيران،

ثم حولت نظري إلى الباب الصدأ الذي فتح ببطء، ظهر الرجل الطويل خلف الباب يشير إلي بالمجيء، فأسرعت إليه دون تفكير، وقف الرجل ينتظرني بوجه عبوس ثم قال بعد أن أغلق الباب خلفه :

- **محاولة استئصال ساقه انتهت بالفشل، أعتذر منك!**

أمسكت ذراعه بغضب ثم قلت:

- **ماذا تقصد؟ ، أين الطفل ؟**
- **أصيب بنزيف حاد، و فارق الحياة بعد دقائق !**
- **هل جننت؟ لقد أحضرته إليك لتنقذ حياته لا لتقتله... حسبت أنك جراح ممتاز، لكنني فهمت الآن لما طردت من المستشفى... كنت تدعي أنه ظلم !!.... ضحكت علي طوال هذه المدة و تسببت في قتل طفل بريء !**
- **حاولت إنقاذه...لكنه استسلم للموت بسرعة !!**
- **يجب أن أبلغ الشرطة عنك !**

أجابني بنبرة مخيفة قائلا :

- اتصل بالشرطة و سنذهب سويا ... مهما كانت أهميتك يا هذا، فستعاقب مثلي ... اتصل، هيا !! اتصل و ستخسر كل ثروتك، اتصل و ستصبح مثلي...

توقف عن الكلام ثم أطلق قهقهة هستيرية، ثم أكمل :

- سيد نجم الطبيب النفسي و صاحب مجموعة شركات نجم يعيش على فتات الخبز القاسي، عنوان رائع لقصة حياتك خلف القضبان!!

نظرت إليه باشمئزاز، ثم أدرت وجهي متجها نحو السيارة، إلا أنه استوقفني بكلماته :

- ألم تنسى شيئا ؟

تابعت سيري دون اكتراث، ركبت سيارتي ثم انطلقت، لم أرد يوما أن أتسبب في قتل شخص ما... لكنني فعلت!! لا أريد رؤية جثة طفل صغير تشوهت بسببي، لا يمكنني أخذه معي، لن ألطخ يدي بدم صبي بريء!!

استيقظت صباح اليوم التالي على صوت نور تصرخ في وجه أحد الخادمات كعادتها، خرجت من غرفتي

لأكتشف موضوع النقاش الذي أيقظني في وقت مبكر، انتبهت نور لمجيئي فأمرت الخادمة بالذهاب، بينما تقدمت نحوي وعانقتني بحزن قائلة:

- **لم أجد الطفل يا عزيزي.**

أبعدتها عني بهدوء، ثم أخذت نفسا عميقا و الندم ينهش روحي، ثم أجبتها محاولا التظاهر بالسعادة:

- **لم الحزن يا نور، أنا من أخذت الطفل ليلة أمس... ذهبت به للعلاج خارج البلاد، بعدها ستكفله أحد العائلات الأجنبية، لا داعي للحزن فهو بخير !**
- **لما لم تخبرني؟**
- **خشيت أن ترفضي ذلك !**

طأطأت رأسها في حزن ثم قالت :

- **لم تسنح لي الفرصة لتوديعه، أردت فقط أن يكون لي ابن !**
- **ماذا تقصدين؟**
- **تمنيت أن أربي ابنا مثله، لكن ... لا أظن أنني سأكون أما جيدة .**
- **لن أسمح لك بقول مثل هذه الترهات، لقد كنت**

لي أما مثالية، و أنت الآن تمثلين دور الأخت الكبرى الرائعة.
رفعت رأسها باستغراب ثم قالت :

- أختك الكبرى؟ نحن أصدقاء يا عزيزي !

رسمت ابتسامة حنونة على شفتاي ثم أجبتها :

- حسنا، أظن أن الوقت حان لإخبار صديقتي أنني سأسافر لأسبوع.
- إلى أين ؟
- قررت الذهاب لمنزل الغابة، يجب أن أنعم ببعض السكينة، كما تعلمين...لقد مررنا بأيام عصيبة !
- حسنا، رافقتك السلامة.

تركت كلماتها الأخيرة دون جواب، ثم انصرفت و هي تجر ورائها الأحزان، لم أحاول مناداتها حتى !! وقفت كالصنم في مكاني أراقبها تبتعد بهدوء، ثم دخلت غرفتي بعد أن اختفت عن مجال رؤيتي. اتجهت صوب الخزانة أختار أكثر ملابسي أناقة لأتمتع بأسبوع هادئ مع أناي !

طرقات الباب المستمرة أجبرتني على المضي نحوه،

فتحته بعنف فإذا بي أرى حقيبة سفر أنيقة موضوعة قرب الباب، اقتربت منها في استغراب، فسمعت وقع خطوات سريعة تقترب مني، أدرت رأسي نحو مصدر الصوت، فإذا بها نور ترتدي ملابس جذابة، صففت شعرها على شكل ضفيرة أنيقة، تضع أحمر شفاه وردي اللون يناسب لون حقيبة يدها. وقفت أمامي و الابتسامة تزين شفتيها ثم قالت :

- خذني معك !

بادلتها الابتسامة، ثم أجبتها :

- و من سيسير الشركة ؟
- لقد وكلت واحدا من المدراء مسؤولا عنها في غيابي... لن تنهار الشركة إن غبت عنها أسبوعا واحدا.
- حسنا، حسنا... انتظريني في البهو، أنا قادم !
- سنذهب سويا، أليس كذلك ؟
- طبعا !

صفقت بمرح ثم أخذت حقيبة سفرها و انصرفت.

صعدنا السيارة سويا متجهين نحو أكثر الأماكن راحة و هدوء. خلال ساعات سفرنا تبادلنا أدوار القيادة و الراحة من آن لآخر ،إلى أن وصلنا إلى أقرب محطة استراحة، حيث تناولنا وجبة الغذاء ثم أكملنا طريقنا على أنغام موسيقى من اختيار نور.

دخلنا الغابة فإذا نحن في جنان مترامية الأطراف، تزينها أزهار متفتحة مختلف ألوانها، و قد زادها الندى جمالا، حتى أن الناظر يخالها فردوس الجنان، رفعت رأسي لأتطلع إلى الأشجار الشامخة الخضراء، تتسلل أشعة الشمس من بين وريقاتها لتتلاعب بحواس من يقف أمامها فتجعله عاشقا ولهانا لها. أغلقت عيناي لمدة قصيرة لأتمكن من الاستمتاع بخرير مياه النهر المنسجم مع تغريد الطيور، أحسست لبرهة أنني نفس الصبي الصغير ذو القلب الطاهر الذي اختطف من نعيم الفقر إلى سجن الغنى، فتحت عيناي أمام الأمر الواقع لأجد نور أمامي تجلس على العشب و تستمتع بدورها برائحة الأزهار الزكية. رفعت رأسي نحو المنزل الزجاجي الذي يتوسط الغابة، يحيطه سياج من أغصان متشابكة، اقتربت أكثر للتأكد من أنه المنزل المنشود، فإذا بي ألمح اسم عائلة نجم منقوشا على لوح خشبي

اتخذ مكانا مناسبا قرب الباب، مررت من البوابة الصغيرة متجها نحو باب المنزل، فتحته و التشويق يكاد يقتلني، خطوت خطوة واحدة داخله، فدهشت بمدى روعته، و رغم أن الغبار يغطي جل أماكنه إلا أنه مميز. وضعت الحقائب جانبا ثم انطلقت لاكتشاف باقي أركان البيت.

عند حلول الغسق، انضممت إلى نور ثم اتخذت مجلسا قربها، أراحتني رائحة الأزهار التي تزكي المكان، زادها النسيم البارد انتشارا في الأرجاء، و كأنها تبشر القلوب القلقة بفرج قريب. أدرت وجهي نحو النور التي كانت بدورها تستمتع بحمرة السماء، كانت تبدو هذه الأخيرة و كأنها لوحة فنية لن يستطيع رسمها إلا بديع السموات و الأرض. اتكأت على العشب لأستشعر رطوبته الليلية و أنعم ببعض السكينة المؤقتة، ثم أغمضت جفوني.

- قهوة أم شاي ؟

أيقظني صوتها الرقيق من نعيمي، وجهت نظري إليها، فإذا بها تتقدم نحوي حاملة بين يديها فنجاني قهوة،

ابتسمت بعفوية، ثم تناولت الفنجان من بين يديها بعد أن جلست بهدوء، اتخذت هي الأخرى مجلسا أمامي ثم استنشقت رائحة القهوة فقالت:

- **أظنني سأصبح مولعة بالقهوة مثلك !**

أجبتها بضحكة سريعة، ثم أخذت رشفة من فنجاني. رفعت رأسي نحو المصباح المعلق على الشجرة فجاءني جواب نور :

- **ظننت أن هذا المصباح القابل للشحن سيكون مناسبا لمثل هذه الجلسة الليلية، أليس كذلك ؟**

أجبتها بهمهمة دالة على الموافقة، ثم وقفت قائلا:

- **أشعر بالنعاس، لا أستطيع البقاء هنا أكثر من ذلك!**

وقفت بدورها ثم نزعت المصباح، فأجابت:

- **لا أظن أنني سأبقى هنا دونك، دعنا نخلد إلى النوم !**

طرقات قليلة على الباب كانت كفيلة بإيقاظي، دخلت نور بعدما سمعت صوتي مرتدية مئزرا أبيض اللون تزينه رسومات طفولية جميلة، تقدمت نحو السرير راسمة ابتسامتها المعتادة على محياها، لامست شعري بمرح ثم قالت :

- حان وقت الاستيقاظ يا أيها النعسان !

ترجلت من على السرير ثم فركت عيناي بهدوء قائلا :

- صباح الخير يا نور، يبدو أنك تكتشفين المطبخ لأول مرة!

وجهت نظرها إلى مئزرها المتسخ ثم تبسمت ضاحكة، فقالت:

- لقد أعددت بعض الفطائر.... سأنتظرك في المطبخ لتناول الفطور معا !
- أتمنى أن لا نصاب بتسمم .

ضحكت بمرح طفولي ثم انصرفت بعد أن ضربت ذراعي برقة .

انقضى اليوم بسرعة، رغم أننا لم نغادر المنزل إلا أننا

استمتعنا بقضاء الوقت في تنظيف المنزل و تجربة مأكولات جديدة. لم نشعر طوال اليوم بالملل ولا بالقلق، بل كنا منسجمين مع بعضنا و كأن كل واحد منا يكمل الآخر. في لحظة، تمنيت لو تخليت عن رداء الثراء المحزن و بقيت على هذا الحال إلى الأبد، فما أجمل أن تكون صافي الذهن و القلب !

في المساء، خرجنا لاكتشاف الغابة و الاستمتاع بهدوئها المسائي. تقدمت نور أمامي ثم بدأت بالدوران حول نفسها بسرور، فأطلقت ضحكات متتابعة جعلتني أسحر برقتها. بعد لحظة، توقفت عن الركض و انحنت لتقتطف بعض الزهور الحمراء، لمحت من بعيد سيدة مسنة تقترب منا بعكازها، تتبعت حركاتها البطيئة إلى أن وصلت إلينا، فوقفت أمام نور راسمة ابتسامة حنونة على وجهها الذي نحت الزمان عليه تجاعيد بارزة، استفاقت من شرودها بعدما أكملت نور اقتطاف الأزهار، فوجهت لنا نظرها قائلة بصوت مرتجف:

- **ما أجملكما!! .... كنت مثلكما ذات يوم، إلى أن توفي زوجي المسكين!**

تقدمت نحوها بحنان، ثم قلت :

- **رحم الله زوجك يا سيدتي، لكننا لسنا ...**

قاطعت كلامي قائلة:

- **حافظا على بعضكما يا بني! لن أطيل عليكما الحديث، يجب أن أذهب إلى بيتي قبل أن تصبح الغابة مظلمة، فكما تعلم يا بني، أنا سيدة مسنة لا أستطيع الرؤية جيدا...**
- **رافقتك السلامة يا سيدتي، هل نستطيع مساعدتك؟**
- **يمكنكما المجيئ إلى بيتي لاحتساء كأس شاي، سأكون سعيدة بمجيئكما!**

اقتربت نور منا ثم قالت :

- **ربما في يوم آخر يا سيدتي!**
- **حسنا يا ابنتي، أنا أسكن قرب النهر، يمكنكما المجيء وقتما تشاءان !**

أجابتها نور بابتسامة، بينما أجبتها قائلا:

- **نشكرك يا سيدتي، لكننا لسنا....**

أمسكن نور ذراعي، ثم قاطعت كلامي قائلة :

- **رافقتك السلامة يا سيدتي، يجب أن نعود أدراجنا الآن !**

انصرفت السيدة بعد ابتسامة رقيقة، فتابعت مسيرها إلى أن ابتعدت، فوجهت نظري لنور التي كانت تنتظر استفساري:

- **لماذا ؟**

أجابت بارتباك واضح:

- **لو أخبرنا السيدة أننا مجرد أصدقاء لظنت بنا سوءا.**
- **ما العيب في أننا أصدقاء ؟**
- **عزيزي، نحن في نظرها مجرد ذكر و أنثى يتسكعان بمفردهما وسط غابة مظلمة... لن ترحم صدقنا!!**
- **معك حق يا نور، أظن أن التفكير بالسفر معا كان أمرا سيئا !**
- **لا تجهد تفكيرك بهذه الترهات، دعنا نعد إلى المنزل لنشاهد فلم رعب معا!**

برزت أشعة الشمس في الأفق، فقبلت قمم الجبال لتكتسي بحمرة ساحرة، وضعت فنجان قهوتي جانبا ثم خرجت من المنزل لاستنشاق نسيم الصباح النقي، اتجهت نحو النهر لأقترب من مصدر راحتي الوحيد، مررت في طريقي ببعض الأرانب البيضاء، كانت تبدو كأسرة مجتمعة مع بعضها، فتمنيت حينها أن أشعر بأنني أنتمي إلى أسرة، لم تكن لدي واحدة و لن تكون، تجاهلت شعوري بعد انتباهي لخرير المياه الذي أصبح أقرب بكثير من ذي قبل، فأزحت أوراق الشجيرات عن نظري لأجد نفسي أمام نهر صافي.

بعد مرور لحظات من الاسترخاء، سمعت صوتا مألوفا في الجوار، حاولت تجاهله لكن حركات المياه الغريبة أجبرتني على الوقوف لاكتشاف الأمر، و عند اقترابي من ضفة النهر جدبني شيء من ساقي فأطاح بي أرضا و لم أستطع صد الهجوم المفاجئ فجرني الشيء إلى المياه... وقفت بصعوبة بعد أن حررت ساقي، ثم مسحت وجهي لأكتشف الفاعل، فإذا بي أسمع ضحكات نور و تصفيقاتها ثم قالت :

- كنت أعلم أنك سترفض السباحة !

أجبتها بنبرة غاضبة قائلا:

- **هل جننت ؟ تعرفين جيدا أنني أكره ألعاب الصغار هذه !!**
- **أنا... آسفة، أردت فقط أن تستمتع معي !**
- **أي استمتاع هذا ؟؟ أن تدخليني النهر رغما عني؟! أ هذا هو الاستمتاع في نظرك ؟**

بدأت نور البكاء ثم خرجت من النهر فكشف جسدها المغطى بلباس سباحة عصري، ثم خرجت بدوري من المياه و تبعت خطاها.

بعد الاستحمام، جلست في البهو أنتظر خروج نور من غرفتها، أشعلت سيجارتي و بدأت بنثر الدخان في أرجاء المكان. بعد دقائق، سمعت صوت خطواتها تقترب مني بخفة، ثم جلست فوق الأريكة المقابلة لي، فحملت كتابها و بدأت القراءة مبدية اللامبالاة بمن يجلس أمامها، أحسست حينها بندم شديد... من هذا الرجل الذي يجرؤ على الصراخ في وجه امرأة ؟.... أنا فعلت، تجرأت على الصراخ في وجه عزيزتي نور، و ليت لساني انقطع حينها!!!

دنوت منها بحنان بعد أن أطفأت سيجارتي ثم جلست قربها، انتظرت حركة منها لكنها كانت جامدة في مكانها... تجاهلتني تماما، طأطأت رأسي ثم قلت:

- **نور...**

لم تحرك ساكنا فأكملت كلامي :

- **أعلم أنني أخطأت في حقك... لم يكن علي أن أصرخ في وجهك...كما تعلمين، لست معتادا على اللعب و المقالب، عشت حياة كئيبة، كنت خلالها أبحث عن حقيقتي دون جدوى... لكنني، أدركت أن مدة حياتنا قصيرة و يجب أن نستغل فرصنا، و نعيش اللحظة... تعلمت هذا بفضلك أنت، لم تكوني مجرد أم يا نور، لقد حاولت أن تغيري شخصيتك في كل سنوات عيشي... رغم أن بيننا ١٠ سنوات، لم أشعر يوما أنك تفرضين سلطتك علي، كنت لي أما و أختا و صديقة وفية ... أعدك أنني لن أصرخ في وجهك مجددا بعد الآن، و سأحاول أن أقلل صرامتي معك ... أعتذر منك !**

وضعت كتابها جانبا ثم رمقتني بنظرة جميلة و قالت :

- سامحتك يا عزيزي، و أعتذر عن مفاجأتك بتلك الطريقة .
- لا عليك يا نور... دعينا نطلب بيتزا للاحتفال بالصلح !

رن هاتفها قبل تمكنها من الإجابة، فوقفت في توتر ثم اعتذرت و صعدت إلى غرفتها. أمسكت بدوري الهاتف و طلبت البيتزا .

هدوء الليل المظلم جعلني أخرج من المنزل للجلوس تحت ضوء القمر، انضمت نور إلي حاملة كأسي خمر ثم مدت لي أحدهما قائلة:

- لابد أن تجربه، سيعجبك كثيرا !
- لا شكرا، لا أريد أن أكون مدمن خمر!

ضحكت بسرور ثم اتخذت مجلسا قربي و قالت:

- لا تكن قديم الطراز، نحن الأغنياء لا نشرب الخمر من أجل الإدمان .... بل من أجل التسلية!!
- ربما، لاحقا !
- يبدو أنك اخترت أن تبقى صارما كما أنت... دائما ما ترفض التسلية... حسنا، كما تريد، فلأستمتع

وحدي .

حملت الكأس ثم بدأت بسكبه إلى أن أوقفتها قائلا:

- **سأشرب !**
- **ماذا قلت ؟!**
- **لا أريد أن أبقى على حالي، لذا سأشرب و أستمتع مثلك !**

أخذت الكأس ثم شربته باشمئزاز، فابتسمت بعفوية و رشفت رشفة من كأسها ثم قالت :

- **ستعتاد على شربه.**
- **أتمنى ذلك !**

أشرقت الشمس و أرسلت أشعتها التي داعبت بشرتي، فاستيقظت لأجد نفسي متكأ على العشب و نور قربي، أيقظتها من نومها، فرفضت الاستيقاظ إلى أن قلت :

- **نور استيقظي، لقد غلبنا النعاس البارحة و نمنا على العشب .**

ففتحت عيناها باندهاش و أطلقت ضحكة جنونية ثم قالت :

- هذا هو الاستمتاع الحقيقي، لابد أننا أفرطنا في شرب الخمر !

بادلتها الضحكة و لو كانت رغما عني، ثم أجبتها :

- يجب أن نعود إلى المنزل.
- دعنا ننعم ببعض الحرية يا صديقي ... لست سيد نجم الآن... في هذه الغابة نحن فقط نور و صديقها .
- معك حق، أنا أستمتع بقضاء وقتي معك !

اعتدلت في جلستها ثم طأطأت رأسها و بدأت التلاعب بالعشب قائلة:

- أتمنى لو بقينا على هذا الحال إلى الأبد .

ابتسمت ثم أجبتها بحنان :

- و أنا أيضا، لكنني أعدك أن نعود إلى هذا المكان مرة أخرى .
- لم أقصد المكان... بل قصدتك أنت... نحن !
- ماذا عنا نحن ؟ نعيش في نفس المنزل يا نور، أ نسيت أم ماذا؟

- قد أبدو لك حمقاء.... لكنني ما عدت أقدر على كتمان الموضوع !
- أي موضوع ؟
- أنا.... أحبك

صمتت لبرهة لأستوعب ما يحدث ثم أجبتها باندهاش :

- أ تعين ما تقولين ؟

رفعت رأسها نحوي ثم رمقتني بنظرة بريئة و قالت :

- أنا جادة فيما أقول ... كنت معجبة بك منذ مدة...كنت خلالها أحاول إقناع نفسي أن الأمر طبيعي، فأنت صديقي، لكنني تعلقت بك عندما قضينا هذه المدة بمفردنا.... و أحببتك.

أمسكت رأسي في حيرة ثم قلت بعد أن لاحظت استيائها:

- أنا آسف، فأنا عاجز عن التفكير الآن.
- كان علي كتمان سري منذ البداية !

ثم انصرفت بعد أن رمقتني بنظرة حزينة، فأوقفتها

قائلا:

- **عجزت عن التفكير لأنني تفاجأت بأنك تبادلينني نفس الشعور، فأنا أيضا أحبك يا نور!**

تقدمت نحوي ثم عانقتني قائلة:

- **لابد أني أحلم.... تبادلني نفس الشعور! يا لها من فرحة !**
- **نحن لا نحلم.. هذا هو الواقع، سنتزوج قريبا !**

لا تحسبن الحياة سهلة، فالبارحة كنت فقيرا و اليوم اسمي يذكر في الصفحات الأولى للصحف، "سيد نجم" ... ما أجمل هذا اللقب! ،و سيزداد جمالا عندما أتزوج المرأة الفاتنة التي أحببت.

☆☆☆☆☆☆☆☆

رنين هاتفي أيقظني من سباتي، أجبت على الاتصال دون الانتباه للمتصل:

- **ألو!**
- **مرحبا سيد نجم، آسفة على الإزعاج !**
- **لا عليك يا حفصة، تفضلي.. ما الأمر ؟**

- أتصل بك من أجل بعض الشكاوي التي توصلت بها عبر البريد الإلكتروني... لم يتقبل المرضى تأجيل المواعيد إلى غاية الأسبوع المقبل .
- و لم لا؟ ... يجب علي أخذ قسط من الراحة، لا يهمني رأيهم !
- أفضل أن نكتفي بهذه الأيام كراحة، و نعود إلى العمل في أقرب وقت، علاوة على ذلك، لقد استقبلت مرضى جدد خلال هذه الأيام... لا نريد أن نتسبب بكارثة أخرى!
- حسنا، حسنا... أخبري المرضى أن العيادة ستفتح غدا .
- سأفعل يا سيدي، طاب يومك !

أغلقت الخط ثم استدرت نحو النور التي كانت تتصفح الجريدة بتركيز، ثم اقتربت منها قائلا :

- سنعود غدا .

رفعت رأسها نحوي باستغراب ثم قالت:

- لابد أنك جننت، لا أريد ترك هذا المكان !

- ولا أنا، لكنني مجبر، فالمرضى بانتظاري .

وضعت الجريدة جانبا ثم اقتربت مني، فقالت :

- إذن فلنستمتع بآخر يوم سفر !

سكبت الخمر في كأسين ثم حملت أحدهما قائلة:

- نخب طبيبي الوسيم!

ثم حملت كأسا بدوري و ضربت به كأسها قائلا:

- نخب زوجتي المستقبلية!

أجابت كلماتي بضحكات رقيقة، ثم اتجهت نحو مكبرات الصوت الموضوعة جانبا بطريقة كلاسيكية، فأشعلت الموسيقى و بدأت بالتمايل و الرقص بجنون... لوهلة خانني وعيي فانجرفت إلى تفاصيلها الجميلة، شعر أشقر مميز، بشرة بيضاء كاللبن، رموش كثيفة تخبئ خلفها جمالا طبيعيا أخضر اللون، خدودها الوردية اللون زادها النمش جمالا، و جسدها الشبه نحيف يجعل أنوثتها ساحرة.

انحنيت لأضع الكأس على الطاولة بعد أن رشفت رشفة

منه، فإذا بي أصعق بعنوان الصفحة الأولى من الجريدة، " العثور على جثة شاب في عقده الثالث في سواحل شاطئ بالدار البيضاء"

حملت الجريدة بيدين مرتجفتين، فوجدت أن تفاصيلها مطابقة لما يدور في رأسي، جثة مشوهة و دلائل مجهولة و غيرها من الأحداث المتشابهة، رميت الجريدة بتجاهل على الأريكة بتجاهل ثم انضممت إلى نور .

في اليوم التالي، وقفت أمام باب المنزل أتأمل تفاصيله، من ذا الذي يغادر منزلا بهذا الجمال بهذه السرعة !!

- هيا بنا سنتأخر !

نداء نور قطع وريد تأملي، فحملت حقيبتي و اتجهت إلى السيارة.

بعد ساعات، وصلنا إلى المنزل، استقبلتنا أحد الخادمات بالتمر و الحليب، و كأنها تعبر عن فرحتها بعودتنا في سلام. اتجهت إلى العيادة بعد أخذ قسط من الراحة، حيث استقبلت المرضى بروح جديدة.

- تبدو نشيطا اليوم يا سيدي!

اقتربت منها و السرور يملأ روحي، ثم أجبتها :

- يجب أن تعتادي على شخصيتي الجديدة... لقد اتخذت خطوة هامة في حياتي !
- أخبرني المزيد... ربما أصبح مثلك يوما ما.

ابتسمت بعفوية ثم قلت:

- سأتزوج قريبا .

تغيرت ملامحها فور سماعها كلماتي الأخيرة، فابتلعت ريقها، و أجابت بصعوبة:

- حقا ! من؟
- نور.
- نور؟! ... زوجة أبيك ؟
- ليست زوجة أبي، بل زوجة رجل لا أعرفه... هو رباني فقط، من حقي أن أتزوجها، لن يمنعني بشر !!

صمتت لمدة حتى ظننت أنها لن تتكلم، ثم طأطأت رأسها و قالت:

- مبروك !
- أتمنى أن تجدي شخصا مناسبا في أقرب وقت، فأنت فتاة مميزة .
- أشكرك على المجاملة، لكنني... لا أريد الزواج من أحد !
- حسنا، هل يمكنك إحضار جدول المواعيد إلى مكتبي ؟

حركت رأسها علامة الموافقة ثم بدأت البحث بين الملفات و الأوراق.

عند عودتي إلى المنزل، استقبلتني نور بابتسامة غريبة ثم قالت:

- مرحبا بك في منزلك، لدي مفاجأة لك !

تبعت خطاها إلى أن وصلنا إلى البهو حيث يجلس ثلاثة رجال هناك، يرتدون ملابس تقليدية و يحمل أحدها كتابا ضخما، تقدمت نور نحوهم ثم أشارت إليهم و قالت:

- هذا السيد هو المسؤول عن زواجنا إنها "عدول"

أما هذان السيدان فيمثلان دور الشاهدان على زواجنا .

أشارت إلي ثم قالت:

- **أقدم لكم سيد نجم.. العريس**

ابتسمت في وجه الحضور ثم وجهت حديثي إلى نور قائلا:

- **هل يمكننا الحديث معا على انفراد ؟**

فور مغادرتنا البهو قالت نور:

- **ألم تعجبك المفاجأة؟**
- **خططت لإقامة حفل زفاف ضخم، يحضره جميع الناس ... لأعترف أمام الجميع أنني تزوجت من أحب !**
- **هل جننت؟ لم يمض على موت كمال سوى خمسة أشهر، لن نستطيع إعلان زواجنا !!**
- **ربما، سيتقبل الناس ذلك.**
- **لا لن يتقبلوا، أ نسيت أن أغلبهم يظن أنك ابن كمال ؟ سيظنون أنك تزوجت أمك .... سيكون هذا**

جنونا !

- **إذن... أظن أننا لن نتمكن من إعلان زواجنا!**
- **نعم، هذا ما أخشاه... لكننا سنتزوج .**
- **حسنا، و ماذا عن الخدم ؟**
- **طلبت منهم مغادرة المنزل لمدة ساعتين... و في الأيام القادمة، يجب أن نحذر من انكشاف سرنا، لذا سنبقى على حالنا ... يجب أن ندخل البهو، فالرجال بانتظارنا !**
- **حسنا، كما تريدين !**

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆

(٨)

جالس في مكتبة منزلي أتصفح ملفاتي المبعثرة، دلفت الخادمة بعد الاستئذان حاملة بين يديها صينية وضع بها كأس عصير، تتصبب قطرات الماء المثلج على جوانب الكأس لتجبر الرائي على شربه دفعة واحدة. فور خروج الخادمة، دخلت نور بدورها فوقفت احتراما لها تاركا ورائي ملفاتي المهمة، و بعد تحية كلاسيكية، جلست على الكرسي المقابل لمكتبي واضعة رجلا فوق الأخرى، اعتدلت في جلستها ثم جدبت تنورتها القصيرة لتغطي ما كشف من ركبتها ثم أدارت وجهها المزين بمساحيق تجميل مبالغ فيها نحو الرفوف المنظمة، ثم قالت:

- مضى وقت طويل لم أقرأ فيه أي كتاب .

جلست على الكرسي المقابل لها ثم حملت أحد الكتب و قلت :

- لقد أكملت قراءة هذا الكتاب البارحة، يمكنك الاطلاع عليه.

حملت الكتاب من بين يدي، ثم تصفحته بسرعة و وضعته على المكتب في تجاهل، فأدارت وجهها نحو

الملفات ثم قالت:

- **أظن أنك مشغول جدا... سأذهب الآن !**

أمسكت يدها بحنان ثم قلت:

- **كل وقتي لزوجتي الجميلة.**

أبعدت يدها ثم أجابت :

- **ليس هذا ما يبدو لي.... مر أسبوع لم نجلس معا وجها لوجه، كل يوم تحاول التهرب مني و الذهاب إلى العيادة!**
- **أخبرتك جيدا أنني مشغول جدا، فبعد إضافة قسم جديد بالعيادة، لم يعد بإمكاني مغادرتها إلا عند حلول المساء .**
- **حسنا... فهمت، عيادتك أفضل من زوجتك !**
- **لو كانت كذلك لما تركت عملي من أجل الجلوس معك ...**

صمتت لبرهة ثم تكلمت بهدوء :

- **أنا آسف... و لإثبات صدق اعتذاري سنذهب هذا**
- **المساء إلى مطعم من اختيارك، و نتناول طعام**

- العشاء بمفردنا، دون الخوف من اكتشاف سرنا.... اتفقنا ؟

ابتسمت برقة ثم قالت:

- حسنا، سأذهب لأجهز نفسي .
- قبل أن تذهبي يا نور، يجب أن أحدثك في موضوع مهم!
- تفضل.

التقطت أنفاسي قبل الشروع في الحديث عن الموضوع ثم قلت:

- تعرفين أنني مجهول الأب، ربما أنا في هذه اللحظة يتيم الأم.... سلبت من بين ذراعيها في سن الثامنة، و وعدت نفسي أن أجدها مهما حصل .... لكنني لم أستطع، لذا أردت أن أشعر بأنني ضمن عائلة على الأقل، حاولت أن أمثل أني ابن كمال و نور لكنني فشلت، فكمال توفي فور تقبلي أنني ضمن أسرة سعيدة، و أنت الآن يا نور زوجتي... لم أستطع أن أعتبرك يوما بمثابة أم حقيقية رغم محاولاتي الفاشلة.... لذا أريد أن أحقق حلمي، و إن لم أكن الابن في الموضوع ... على الأقل سأكون الأب .

أدارت وجهها نحو الباب لتجنب النظر في عيناي المغرورقان بالدموع، ثم قالت:

- **تحدثنا من قبل عن هذا الموضوع، لا يمكن أن تكون أبا... هذا أمر مستحيل !**
- **لماذا يا نور ؟ مر عام على زواجنا، و لم نتفق أننا لن نكون أسرة !**
- **لا يهمني مدة زواجنا... فهذا الأمر مستحيل، و لو أمضينا عشر سنين معا، لن تتغير وجهة نظري .... لقد وافقت أن نتزوج سرا، لذا تحمل عواقب هذا القرار!**
- **هل لي أن أتبنى طفلا ؟**
- **بالطبع لا، هل تريد أن تقرأ اسمك على الصفحات الأولى للصحف، "سيد نجم فضل تبني طفل على الزواج "**

طأطأت رأسي بيأس ثم قلت :

- **أرجوك يا نور، أريد أن أبقى وحدي .**

وقفت نور ثم نظرت تجاه الباب و قالت:

- لن يزيدك التفكير في الموضوع إلا حزنا... مشينا معا على هذا الطريق و لن نتراجع أبدا، لن نحتاج
- لصبي لكي نشعر بأننا أسرة سعيدة... يكفي أننا معا !

انصرفت تاركة كلماتها معلقة في الهواء، وقفت بدوري من مجلسي، فمسحت دموعي و اتجهت إلى مكتبي.

☆☆☆☆☆☆☆☆

دخلت العيادة كالمعتاد، اتجهت إلى مكتبي بعد إلقاء التحية على حفصة التي كانت تبدو كئيبة في الأيام الماضية، قد تتغير حياة كل شخص منا دون علم أحد، و هذا ما حصل لحفصة، فخلال هذه السنة تغيرت تصرفاتها حيث صارت مضطربة إلى حد ما، تارة أراها ضاحكة و تارة عبوسة، و لم أجرؤ يوما على سؤالها، فبعض الأسرار يجب أن تظل على حالها دون تدخل طفولي من شخص مجهول.

بعد رنين هاتفي لمرتين على التوالي، أجبت على الاتصال دون الانتباه للمتصل، فجاءني صوتها من

الجانب الآخر:

- **عزيزي، أظن أنك في العيادة، أليس كذلك ؟**
- **نعم، أنا مشغول ببعض الأوراق المهمة، و قريبا سيدخل بعض المرضى في حالة مستعجلة... لذا المرجو أن تستعجلي في المكالمة !**
- **حسنا، أردت فقط أن أخبرك أنني أخذت بطاقتك البنكية**
- **و ماذا عن خاصتك؟ لم تمض إلا يومين منذ أن وضعت في حسابك البنكي مبلغا مهما .**
- **نعم، أعلم هذا، لكنني كنت بحاجة ماسة لهم فأخذتهم .**
- **حسنا لا عليك ،يمكنك استخدام بطاقتي... بالمناسبة، كيف حال الشركة ؟**
- **جيدة ... لم أعد أقوى على البقاء هناك لمدة طويلة، أشعر بالملل كمسؤولة... أتمنى أن أكون صاحبة المجموعة .**

دلفت حفصة ثم قالت:

- **أعتذر يا سيدي، لكن المرضى بانتظارك !**

أجبتها بحركة دالة على الموافقة على دخولهم، ثم

وجهت كلامي لنور :

- **أعتذر يا نور، يجب أن أغلق الخط الآن... سأعاود الاتصال بك لاحقا.**
- **سأنتظر اتصالك !**

أغلقت الخط ثم ذهبت إلى المكان المخصص لتحليل شخصية المريض و تشخيص حالته، ثم جلست بانتظار أول مرضاي .

بعد دقائق، دخل طفل صغير أبيض اللون، أسود العينين، تفيض البراءة منهما، أجلسته على الكرسي ثم بدأت الحديث معه ،فتذكرت حينها الطفل الأسمر صاحب الجرائد، كانت له نفس نظرة البراءة و الحزن الذي يمتلكها هذا الصبي الصغير، لكنني و بكل بساطة أرسلته إلى دار البقاء، لم يتمكن من اللعب و اللهو كباقي الأطفال في سنه... هذا كله بسببي، قد تكون نيتي منذ البداية إنقاذ روح بريئة عن طريق بتر ساقه، لكنني أخطأت عندما وثقت في طبيب جراح فاشل، قتل طفلا بريئا و أشعل في قلبي نار الحزن الذي يلتهم شراييني كلما تذكرته.... لم أرد يوما أن أقتل طفلا، و

لا شخصا بالغا حتى، لم يكن انتحار المريض إلا السبب الأول في بدأ اسوداد فؤادي.... لا أريد أن أنعت بعديم القلب، لأنني فقط أريد شخصية رجل برجوازي محترم.

اتجهت إلى الشاطئ فور مغادرتي العيادة، جلست على الرمال الذهبية متجاهلا اتساخ ملابسي، تأملت أمواج البحر التي تبدأ التكون داخل المحيط فتبدو كالجبل شامخة، تقترب من الشاطئ و كأنها ستلتهم كل حبيبات الرمال الذهبية، لكنها تنحني احتراما لجمالها فور وصولها إلى الشاطئ، و تجعل زبد البحر زينة لتلك الرمال. وضعت حذائي جانبا ثم اقتربت أكثر من المياه للاستمتاع ببرودتها التي تجعلني أطمئن و أهدأ .

رن هاتفي المحمول فتفقدته لأكتشف أن نور المتصلة من جديد، ثم أجبت قائلا :

- **مساء الخير يا نور، كيف حالك؟**
- **بخير، أتوقع أنك ما زلت مشغولا في العيادة، أليس كذلك؟**
- **هل من مشكلة ؟**
- **أ ليس من حقي معرفة مكان زوجي، أظن أن تلك العيادة جعلتك تنسى أن لديك زوجة تنتظرك !**

- أنا في طريقي إلى البيت.
- حسنا، وداعا .

اتجهت إلى المنزل و الحزن يكاد يقتلني، استقبلتني السائق قائلا:

- سيدي، هل يمكنني أن أحدثك بموضوع مهم ؟
- لست في مزاج جيد لسماع الترهات، يمكننا الحديث لاحقا !
- لكن الأمر يتعلق بالسيدة نور !
- تأدب! ليس من حقك التحدث عن سيدتك بأي طريقة كانت... لا أريد سماع أي شيء، احتفظ بمعلومتك لنفسك، فأنا أريد سائقا لا جاسوسا!
- أعتذر يا سيدي... ما كان علي التدخل فيما لا يعنيني .
- يمكنك الذهاب إلى أسرتك، لا أظن أننا سنحتاجك هذه الليلة... طابت ليلتك .

صعدت إلى غرفتي بعد أن طلبت إعداد قهوتي الليلية، ثم استلقيت على السرير الذي امتص تعبي، أغمضت عيناي لبعض الوقت، حيث أحسست بالسكينة تغمر المكان. فتح الباب فجلست على طرف السرير لأتمكن

من استقبال رائحة القهوة التي تسبق الفنجان، تقدمت نور حاملة إياه بين يديها الناعمتين، ثم وضعته جانبا و جلست على الأريكة المقابلة لي، فالتقطت أنفاسها ثم قالت:

- لما لم تأتي لرؤيتي فور مجيئك ؟
- لم أرد أن ينكشف سرنا.... خصوصا أني لاحظت أن بعض الخدم لاحظوا تصرفاتنا الغريبة، لذا فضلت المجيء إلى غرفتي بدل البحث عنك بين الغرف كعادتي .
- حسنا، يجب أن أحدثك بموضوع مهم بالنسبة لي.
- تفضلي، ما الأمر؟
- يجب أن أذهب إلى حفل زفاف صديقتي الذي سيقام بعد يومين، و يجب أن أرتدي فستانا راقيا.
- حسنا، لا يبدو لي أن هناك داع لهذا الحديث، يمكنك الذهاب .
- لكنني لا أملك الفستان المناسب، و الحلي الراقية.... لذا أطلب منك أن تساعدني في اقتناء فستان رائع و عقد ألماسي، مع حلقات راقية.... و أيضا، أريد الذهاب إلى صالون التجميل ... هذا

كل ما في الأمر !

أخذت محفظة نقودي، ثم أعطيتها مبلغا ماليا ضخما، فقالت بعد أن اطلعت عليه :

- **ليس كافيا... أريد أكثر !**
- **لن أستطيع تقديم المزيد الآن، يمكنك أن تأخذي ما تبقى من النقود في البطاقة البنكية.**
- **لا أظن أن المبلغ سيكفي لشراء كل شيء أريده... فأنا أحتاج لفستان مرصع بالجواهر، سيحاك خصيصا من أجلي، و سيقال أن نور أجمل امرأة في الحفل... لذا يجب أن تضحي و تقدم المزيد و المزيد من أجل زوجتك، إن كانت سعادتي تهمك فعلا فعليك تلبية طلبي.**
- **حسنا، سأحاول أخذ بعض النقود من احتياطي العيادة، و سأضعها في حسابك البنكي.**

ابتسمت بمرح ثم قالت:

- **أشكرك يا عزيزي.**
- **بالمناسبة، نسيت إخبارك أنني قررت الذهاب إلى الشركة للاطلاع عليها، فكما تعلمين أنا صاحب مجموعة الشركات و لم أفكر في الذهاب إلى**

الشركة الرئيسية يوما!

ارتبكت نور، فبدأت التلاعب بيديها و قالت:

- **لا داعي للذهاب، فأنا أسيطر على الوضع... يكفي أنك تعمل بجد في العيادة، لا أظن أنك سترتاح وسط مجموعة من البرجوازيين المتكبرين.**
- **لا عليك، لقد اعتدت عليهم... و ليكن في علمك أن هذا القرار نهائي سأذهب إلى الشركة .**

طأطأت رأسها بحزن ثم قالت:

- **حسنا، أتفهم ذلك... أنت لا تثق أن زوجتك تستطيع تسيير مجموعة شركات نجم كلها، خصوصا أني لست رجلا مثلك، فأنا مجرد امرأة لا تعرف شيئا .**
- **ليس كذلك يا نور فأنت زوجتي، كيف لي أن أشك في قدراتك ؟**
- **ليس هذا ما يبدو... سيحسب الناس أني ضعيفة الشخصية فور حضورك، لأنني لم أتمكن من تسيير مجموعة شركات نجم دون وجود رجل بجانبي... هذا ما سيحصل، و لن أتحمل الإهانات!**

- لن أدع شخصا يهينك، طالما أنا أثق بأنك قادرة على تسيير الشركة فلا يهم رأي الآخرين .

وقفت نور ثم زفرت زفرة قوية ثم قالت بيأس :

- يبدو أنك مصر على الذهاب... و لا تهمك مشاعري... حسنا، أحترم رأيك .

ثم انصرفت تاركة ورائها عقلا حائرا و قلبا أكثر حيرة، في بعض الأحيان يفضل اختيار واحد منهما، العقل حكمة، يسوقه المنطق و الواقع، أما القلب فمشاعر يسوقه من نهتم لأمرهم ،وفي كلتا الحالتين يجب اختيار واحد فقط، و هذا الاختيار سيحكم مسار حياتك، إما أن تكون فاشلة أم ناجحة !

أخذت فنجان قهوتي، ثم تحسست برودته، فرشفت رشفة و قلت:

- أظن أنني سأنصاع لها ثانية.... لن أذهب !

نزلت من درج المنزل تحت نغمات موسيقى صباحية رقيقة، توجهت نحو غرفة الطعام حيث توجد منضدة مستطيلة الشكل، ممتلئة بما لذ و طاب من المأكولات،

جلست على طرفها ثم ناديت أحد الخدم، فإذا بالخادمة تهرول نحوي قائلة:

- **هل ينقص شيء على المنضدة يا سيدي ؟**

ابتسمت بعفوية ثم قلت:

- **لا، لا أظن ذلك... اذهبي و أخبري نور أن سيد نجم بانتظارك على مائدة الإفطار.**
- **لقد غادرة سيدة نور المنزل قبل نصف ساعة.**
- **حقا!! حسنا...حسنا أخبري باقي الخدم أن لكم هذا المساء أن تذهبوا إلى منازلكم، و يمكنكم الالتحاق بعملكم غدا صباحا .**
- **شكرا لك يا سيدي، متى يمكننا الذهاب ؟**
- **يمكنكم الذهاب بعد العصر.**
- **حسنا، هل تحتاج أي شيء آخر يا سيدي؟**
- **لا شكرا !**

بعد إنهاء وجبتي الصباحية، حملت هاتفي ثم اتصلت بحفصة، انتظرت الرنين الممل إلى أن جاءني صوتها من الطرف الآخر :

- **صباح الخير سيدي، فيما يمكنني مساعدتك؟**

- ألغي جميع مواعيد اليوم، لن أتمكن من الحضور إلى العيادة .
- خيرا ؟
- كل الخير يا حفصة، أنا فقط أريد أن أحسن علاقتي مع نور !
- حسنا... سأخبر المرضى بأن مواعيد اليوم ألغيت.
- أشكرك يا حفصة.

صعدت سيارتي متجها نحو عالم التسوق، حيث سأشتري كل شيء يسعد قلبها. عند وصولي، أرسلت رسالة نصية إلى نور مفادها أنني سأتأخر اليوم في العيادة، و ربما لن أتمكن من القدوم إلى المنزل إلا بعد وقت متأخر من الليل.... أكثر شيء أحبه هو عنصر المفاجأة !

في المساء دخلت المنزل محملا بأكياس لا تحصى ولا تعد، اتجهت إلى شرفة غرفتي حيث أفرغت محتوى الأكياس على السرير و بدأت تزيين الشرفة، فها هي الورود الحمراء تزين الأرضية بشكل راقي، و ها هي الجهة اليسرى للشرفة يزينها دبدوب ضخم وضع أمامه هدايا ثمينة، و في الجهة الأخرى استقرت منضدة

صغيرة وضع عليها مجوهرات براقة، تتوسط الشرفة منضدة وضع عليها بعض الشموع الجميلة، و أطباق اختلف محتواها، و اتخذت قنينة شراب مكانا قربها. تراجعت خطوتين لأتمكن من رؤية المنظر الراقي الذي ابتكرته خصيصا لها.... فأضفت وردة بيضاء اللون على الطبق الفارغ الخاص بها كدليل على الاعتذار عن كل ما جرى بيننا من مشاكل، ثم وجهت نظري إلى الساعة الحائطية التي كانت تشير إلى التاسعة و النصف مساءا، فخرجت من غرفتي للبحث عن مكان مناسب للاختباء و مفاجأة زوجتي العزيزة. عند اقترابي من الدرج سمعت صوت مقبض الباب، ففتح الباب عن آخره، تراجعت بضع خطوات لأتجنب إفشال المفاجأة، فجاءني صوت نور بعد إغلاق الباب :

- كان يجب علينا أن نستمتع بوقتنا أكثر .

فابتسمت بمرح لما علمت أنها استمتعت بوقتها، ثم أيقنت حينها أن خطتي ستنجح، و ستعود المياه إلى مجاريها.

جلست على الدرج فور دخولها البهو، فجاءني صوتها ثانية:

- يمكنك البقاء هنا الليلة، سيتأخر ذاك الغبي في

العيادة كعادته .

فأجابها صوت رجولي قائلا:

- **متى سنتزوج ؟**

فقهقهت نور بقوة ثم قالت:

- **زواج؟ لم أرك يوما تتحدث عن هذا الموضوع، لا بد أنك أفرطت في شرب الخمر هذه الليلة.**
- **لا يا نور، أتكلم بجدية.... لقد صبرت عند زواجك بذاك المعتوه الذي يدعى كمال و لن أصبر مجددا على هذا الطبيب الغبي ... يجب أن نتزوج !**
- **لا تستعجل يا عزيزي، قريبا سنتخلص منه و نستولي على ثروته !**
- **ماذا عن ابني ؟ متى يمكنني استرداده؟**
- **ابننا في أمان، لقد أرسله الطبيب إلى خارج البلاد من أجل علاج ساقه المكسورة، و ستتكفل به عائلة أجنبية برجوازية .**

صرخ الرجل بقوة ثم قال:

- **لا يمكن لمعتوه أن يرسل ابني لخارج البلاد دون علمي، لن أسمح بهذا يا نور !**

- لا داعي للصراخ يا عزيزي، سأحاول استرداده بأية طريقة، لا تنسى أنني أمه... لن أدعه بين يدي عائلة أخرى، يجب أن يعيش بين والديه .
- حسنا، دعينا الآن من هذا الموضوع و أخبريني عن خطتك !
- خطتي جيدة إلى حد ما، غير أن زوجي الغبي يريد أن يأتي إلى الشركة... حاولت منعه دون جدوى.

ضحك الرجل بقوة ثم قال:

- مسكين لا يعرف أن مجموعة شركاته الفاشلة شارفت على الإفلاس... لم يتبقى إلا القليل و سنحصل على هذا المنزل و كل ثروته .

أمسكت قبضت يدي بغضب ثم توجهت نحو البهو كالبركان الثائر، فدخلته لأجد نور جالسة على الأريكة بفستان نصف مكشوف ، يجلس أمامها رجل يضع قدميه على المنضدة. صفقت بحرارة فاستدار كلاهما نحوي لأتفاجأ بهوية الرجل، تقدمت نحوه ثم صرخت بصوت مرتفع :

- ماذا تفعل داخل منزلي يا إبراهيم ؟؟

أدار وجهه نحو نور التي وقفت بدورها في قلق، فتقدمت نحوي قائلة:

- **عزيزي، لقد جاء إبراهيم هنا... ليعتذر عما حصل بينكما ،هذا كل ما في الأمر .**

حرك إبراهيم رأسه علامة الموافقة على كلامها، فأمسكت قميصه بعنف و قلت:

- **لست غبيا يا هذا !! ماذا تفعل هنا ؟**

أمسكت نور ذراعي محاولة إبعادي عنه، ثم قالت :

- **ابتعد عنه أرجوك... لقد جاء للاعتذار صدقني !**

دفعت نور فارتمت على الأرض ثم أفلت إبراهيم و قلت لها :

- **طعنتني في ظهري يا نور، خنت كمال و جاء دوري!! هذا كله من أجل المال...**

سكتت لبرهة ثم أكملت كلامي :

- **لقد سمعت كل شيء يا نور، أنتما مجرد خائنان... تريدان التخلص مني من أجل ثروتي!**

مشيت يمينا ثم شمالا ممسكا رأسي كالمجنون، فوقفت نور و الدموع في عينيها و قالت:

- **بما أنك سمعت كل شيء، يجب أن تعلم شيئا مهما!**

أدرت وجهي نحوها، فإذا بها تهاجمني بسكين حاد، أمسكت يدها بقوة فرمت السكين من شدة الألم، فقلت :

- **لم تقتليني من قبل ؟ كنت أشكل تهديدا لك لكنك مثلت دور الأم الحنونة بنجاح... كان بإمكانك قتل ذلك الطفل البريء !**
- **كنت أعتقد أن ذاك الشيخ الهرم، سيكتب أملاكه لي ... لكن خطتي فشلت في آخر لحظة، بعدما قضى أسبوعا معك، نسي أنني صبرت لسفره المستمر و طبعه القاسي !**
- **إذن هذا سبب خيانتك له ؟ سفره و قسوة قلبه ؟ و ما ذنبي أنا في هذا ... لما أشاركك لعبتك الفاشلة ؟**
- **أنت من رفضت إعطائي نصف ثروتك أيها الطبيب الفاشل ... كان يجب علي التخلص منك قبل أن تعرف كل شيء، تستحق كل هذا لأنك تخلصت من**

ابني دون علمي، لن أرحمك يا سيد نجم !

تقدم إبراهيم ثم أخذ نور من بين يدي و أبعدها ، ثم قال:

- **يجب أن تعيد ابني في أقرب وقت و إلا قتلتك !**

ابتسمت بخبث ثم تراجعت للوراء فقلت:

- **ابنكما.... خنت كمال و أنجبت طفلا دون علمه، و هو المسكين الذي كان يظن أنك مصابة بمرض خطير فابتعد عنك منذ زواجكما... شككت في الأمر ففعلت المثل و تأكدت أن هناك خطبا ما عند رفضك تكوين عائلة !**
- **لست مصابة بأي مرض... لقد كذبت على كمال منذ البداية !**
- **لماذا تزوجته إذن ؟!**
- **لقد كان زواجنا مجرد صفقة... لم أتمكن من الزواج بإبراهيم بسبب رفض أبي له، فتزوجت كمال من أجل المال، و أوهمته أنني مصابة بمرض خطير و قد يكون معد، فتجنب الاقتراب مني...و سفره المستمر شجعني على خيانته دون أن يلاحظ شيئا!**

أمسكت رأسي في حيرة ثم قلت :

- **كان زواجك من كمال مجرد لعبة !! كيف له أن يوافق على هذه الترهات ؟**

ابتسمت بخبث ثم قالت :

- **تزوجني كمال من أجل جمالي، و تزوجته أنا من أجل ماله... لم يكن يعلم أن زواجنا مزيف، غبي كان يعتقد أنني زوجته فعلا، و هكذا عرف جميع الناس... لكن عقد زواجنا مزيف تماما و مجرد خطة ... كان هدفي منذ البداية، موت كمال و الاستمتاع بثروته مع إبراهيم .... لكن صبري نفد فقررت إنجاب طفل لأتمكن من تأسيس عائلة قبل فوات الأوان .... فربى إبراهيم الطفل مع مساعدتي المادية و المعنوية، رغم أنه كان يعنفه قليلا، لكنه أحبه بصدق.... فهو ابنه !**
- **أنت شيطانة لعينة !**

صرخ إبراهيم قائلا:

- **التزم حدك يا هذا !!**

رمقتهما باشمئزاز ثم قلت و عيناي المغرورقان تكشف

صدمتي:

- **أظن أن عقد زواجنا مزيف أيضا.... أو ربما لا داعي للسؤال فالأمر واضح!**

تقدمت نحو نور، ثم أمسكت ذراعها بعنف و قلت:

- **كيف لك أن تفعلي بي هذا ؟ أنت حية بصفة بشر... لقد صدقت أنني تزوجت المرأة التي أحببت بعد أمي، تلاعبت بمشاعري ...**

وضعت يدي على عنقها محاولا خنقها، ثم قلت :

- **لا تستحقين العيش!!**

جذبني إبراهيم من قميصي ثم اطمأن على نور التي رمقتني بنظرة خبيثة و قالت موجهة كلامها لإبراهيم:

- **تخلص منه.**

اقترب مني هذا الأخير بسرعة ثم باغتني بلكمة على الوجه جعلت أنفي ينزف، فأعاد ضربي على بطني بسرعة قبل أن أعيد له الضربة، فتراجعت للوراء في ألم، و ما إن اقترب مني حتى لكمته بقوة على وجهه

ثم أعدت ضربه بجمجمتي، فسقط أرضا دون حراك. هرولت نور نحوه ثم انحنت لتحاول إيقاظه، فإذا بها تصرخ بصوت عال:

- **قتلته يا مجرم .... قتلت إبراهيم .**

تسللت دمعة على خدي في غفلة مني، فمسحتها بطرف كمي ثم قلت و كأنني أصبت بالهستيريا :

- **لم يمت... لا... لا يمكن أن يموت بضربة كهذه... لم أقتله، أنا لست قاتلا.... لم أرد قتل أي شخص في حياتي .... لم أرد قتل رجل أو حتى طفل بريء !! أنا لست قاتلا ... لست كذلك !**

وقفت نور و الدموع منسابة على خديها ثم قالت:

- **ماذا تقصد بطفل بريء ؟ تكلم أي طفل هذا ؟**
- **أنا .... حاولت إنقاذه... لكن الجراح قتله... أنا بريء من كل هذا !**

أمسكت قميصي قائلة:

- **من هذا الطفل ؟**

طأطأت رأسي في حزن ثم قلت:

- **ابنك...**

تراجعت نور خطوتين للوراء في صدمة، فأكملت كلماتي :

- **أخذته إلى جراح لبتر ساقه... كنت أحاول إنقاذه من الموت... لكنه أصيب بنزيف حاد أثناء العملية، و فارق الحياة ...**

سقطت نور أرضا من هول الصدمة، ثم قالت:

- **قتلت طفلي الوحيد.... و لم يكفك كل هذا فقتلت والده... أنت مجرم !**

طرقات باب عنيفة قاطعت حديثنا، تلاها صوت خشن:

- **افتح الباب.. الشرطة!!**

ارتبكت و بدأت بالدوران حول نفسي كالمجنون، حاولت الهرب لكن الشرطة كسرت الباب و تفرقوا في أنحاء المنزل، دخل واحد منهم البهو فتفاجأ بجثة إبراهيم الهامدة، التفتت نور نحوه ثم قالت مشيرة إلي:

- هو من قتله... هذا المجرم خطير، كاد يقتلني لولا تدخلكم !

صعقت بما سمعت منها، فاستسلمت للشرطي الذي أشار بمسدسه على وجهي، وضع الأصفاد على يدي فقيد حريتي... ربما إلى الأبد!

☆☆☆☆☆☆☆

صوت طرقات العصى المعدنية على الباب الحديدي الصدأ، نغمة تشير لوجوب استقبال خبر جديد، فتح حارس الأمن الباب ثم قال:

- نجم !!

تزحزحت من مكاني رافعا يدي، فجذبني الحارس من يدي قائلا:

- لديك زيارة .

جلست على الكرسي المقابل لها، طأطأت رأسي خجلا من شكلي الغير لائق ،فأمسكت يدي بحنو ثم قالت :

- كيف حالك ؟

أبعدت يدي، ثم أجبتها بحزن:

- **كيف سيكون حال شخص أمضى أسبوعين في السجن؟**
- **لقد انتهى التحقيق تقريبا... ربما سيصدر حكمك بعد أسبوع أو أقل .**
- **من أين لك هذه المعلومات يا حفصة؟**
- **سألت الضابط المسؤول عن قضيتك، و أخبرني أنني آخر شخص يقدم أقواله .**
- **من قدم أقواله غيرك ؟**
- **نور كانت الشاهدة الرئيسية، تلاها موظفو الشركة، و الخدم كذلك .**

ابتسمت بمرارة ثم قلت:

- **لابد أن أغلبهم يكرهني، لا يمكن أن أعتمد على شهادتهم ... أنا مغلوب لا محالة !**
- **لا تفقد الأمل، ربما ينجح محاميك في إقناع القاضي أنك بريء .**

زفرة قوية غادرة رئتاي معلنة انهزام روحي على يد الزمان، رفعت رأسي نحوها ثم قلت:

- ما سبب حضورك يا حفصة؟

أحنت رأسها ثم قالت :

- لقد منع الشرطة زيارتك طوال أسبوعين، لذا لم أستطع المجيء للاعتذار.

أجبتها باستغراب :

- اعتذار؟! لا داعي للاعتذار فأنت أكثر شخص بريء بيننا !
- فلتعم أنني اقترفت خطأ كبيرا قد لا أسامح نفسي عليه.... أنا سبب تواجدك هنا.
- ماذا تقولين؟ كيف هذا ؟
- اتصلت بالشرطة و أخبرتهم أنك أنت من تخلصت من جثة المريض المنتحر .

وقفت بانفعال ثم ضربت المنضدة بقوة و قلت:

- أ جننت؟ لقد أحسنت لك .... و طعنتني يا حفصة، لم أتوقع أن تكوني يوما سببا في دخولي السجن بهذه السهولة.... لماذا فعلت هذا؟

ضربات على الباب تلاها صوت شرطي يقول :

- هدوء !

جلست في مكاني ثم أكملت كلامي :

- أخبريني الآن .... لماذا فعلت بي هذا؟
- لأنك.... تزوجت نور... اعتقدت أنك تحبني، فأحببتك لكنني تفاجأت بخبر زواجك.... فكتمت غيظي، لكنني قررت الانتقام منك على لعبك بمشاعري !!
- أنا اعتبرتك أختي و أحسنت لك و كأنك فرد من العائلة .... لم أقصد التلاعب بمشاعرك !
- أدركت هذه الحقيقة في وقت متأخر... و جئت للاعتذار عن فعلتي ....و لتعرف صدق اعتذاري أخبرت الشرطة أنك لم تقصد رميه، بل خفت لما رأيت رجلا منتحرا أمامك، فقررت إبعاده عن العيادة مخافة الدخول إلى السجن بسببه لكي يجده عابر سبيل، لكنه سقط في البحر بعد أن وضعته على جانب الصخر، و بالتالي فأنت لست مذنبا في قتله .
- و كيف عرفت أنني رميته في البحر؟

- لقد عرفت أنك تخلصت من الجثة لكنني ظننتك دفنته.... و بعد ظهور جثة رجل في الثلاثين من عمره على الشاطئ تأكدت أنه هو نفسه المريض النفسي... و زاد تأكدي من خلال صوره، فرغم أن جثته مشوهة إلا أن ملابسه ساعدتني على معرفة هويته.... فكتمت الموضوع .

تقدم الحارس وسط القاعة ثم أعلن انتهاء الزيارة، فأمسك يدي بعنف و جرني إلى الباب قبل تمكني من إجابة حفصة أو ربما معاتبتها.

رميت خلف القضبان و تلاشت كرامتي، لم أفكر يوما أنني سأسجن مع حثالة المجتمع... ربما يوجد منهم من سجن ظلما، لكن أغلبهم يجعل الرعب يدب في عروقك بمجرد رؤيتهم، وشم اتخذ مواضع في أجسادهم، يخالونه رمز شراستهم، لا يشعر أي منهم بالندم على ما فعل، سواء سرق أو قتل، يبدو على ملامحهم أثر الارتياح، و كأنهم ألفوا المكان... و لما لا يألفونه و الحياة الظالمة الموجودة خلف هذه القضبان لا توفر لهم الظروف الملائمة للعيش، لا سكن و لا أكل، لا تعليم و لا صحة، يجدون السرقة سبيلهم

الوحيد للنجاة، فيسقطون داخل حفرة الرذيلة، ليجيدوا السجن ملاذهم الآمن، حيث السكن و الطعام مجاني... يوجد غيرهم من دخل السجن ظلما أو ربما تهورا منه، قابلت أناسا تعتقد أنهم من أطهر خلق الله، منهم من تلاعب به الزمان فجعله يذوق عصارة الحياة المرة، و رغم ذلك تجده متمسكا بكتاب الله، فهو على يقين بأن الرحيم لا يكتب لعباده قدرا سيئا إلا إذا كان العبد مذنبا، فيحاول التخلص من بقايا ذنوبه بالاستغفار.... خلال هذه المدة التي قضيتها بين الجدران، اكتشفت أن السجن لم يكتب على بابه "للشباب فقط" ، بل الشيوخ كذلك اتخذوا مكانا خلف القضبان، في انتظار مصيرهم المحتوم .

- **سيد نجم...مسكين خلف القضبان، يبدو أن السجن جعلك أوسم.**

رفعت رأسي بغضب نحوها ثم قلت:

- **لو علمت فقط أنك الزائرة لما تكبدت عناء رؤية وجهك، ولا سماع فحيحك !**

وقفت استعدادا للعودة أدراجي، فابتسمت بسخرية ثم

رمقتني باشمئزاز و قالت:

- اجلس يا عديم الضمير... لم آتي إلى هنا إلا بعد إرغام نفسي على ذلك... لا تظن أنك ما زلت شخصا مهما، أنت مجرد قاتل... اجلس يا هذا، لقد جئت هنا لأخبرك بشهادتي ...

قهقهت بقوة ثم أكملت:

- أردت أن أرى تعابير وجهك بنفسي، إذن... ليكن في علمك أنني أخبرت الشرطة بأنك قتلت طفلي الوحيد عمدا، أخبرتهم كذلك أنك أردت المتاجرة بأعضائه لزيادة ثروتك...
- أنت شيطانة... لقد ابتلع الطمع إنسانيتك !
- صه، لا تقاطع سيدتك أثناء الكلام ... غير ذلك أخبرتهم أنك قتلت إبراهيم عمدا كذلك... حيث كان المسكين يترجاك أن ترحمه، لكنك وجهت له عدة ضربات إلى أن مات... و أنك كنت ستقتلني لولا حضور الشرطة بالوقت المناسب.... كان بوسعي إضافة أحداث أخرى، لكن قلبي رق لحالك، و تذكرت الأيام التي قضيناها معا، فرحمتك .

دفنت رأسي بين ذراعي دون كلام، فسمعت ضحكاتها المتتابعة قبل أن تبدأ الكلام:

- **آه، كم أنا سعيدة الآن... سيد نجم منهزم أمام عيناي، أتممت انتقامي على أكمل وجه.... حسنا سأتركك الآن، فكما تعلم لدي منزل و شركة بانتظاري.... بالمناسبة، لقد أعدت الشركة كما كانت من قبل، فبعد التفكير مليا، لم يكن الإفلاس فكرة رائعة... حسنا، يا سيد غبي أراك في المحكمة !**

بعد لحظات، أحسست بيد قاسية جذبتني من ذراعي، تلاها صوت خشن :

- **انتهى وقت الزيارة!**

عدت مرة أخرى إلى نفس المكان، و خلف نفس القضبان الحديدية الصدئة، تمنيت لوهلة لو لم أولد منذ البداية... لا أنكر أنني عشت برفاهية لمدة طويلة، لكنني أدفع الآن ثمن تلك الابتسامة التي زينت وجهي يوما.

- حكمة المحكمة حضوريا على المتهم المدعو نجم، بالإعدام !!

كلمات تلاها صوت هتاف الحضور دعما لقرار القاضي الصائب، أصوات لم يسكتها تتمة كلمات القاضي النهائية، فأسكتها ضربات المطرقة الخشبية المتوالية، تلاها انصراف الحضور تاركين ورائهم كلمات مجد للقاضي و رصاصات ألم للمتهم. كابوس يوقظني من سباتي متعرقا، أمسح وجهي بيداي المرتجفتين لأتمكن من استيعاب الأمر... تزايدت وتيرة كوابيسي هذه الأيام، كيف لا و موعد المحاكمة اقترب، لم يتبقى سوى القليل لألقى العقاب الذي أستحق !

جلست على الكرسي المقابل للمحامي، فرمقني بنظرة قلق قبل أن يتحدث بصعوبة:

- يبدو أن قضيتك معقدة جدا يا بني، كنت آمل أن نستفيد من التحقيق شيئا، لكن الشهادات كلها ضدك، باستثناء شهادة مساعدتك، لكنها لا تعني شيئا مقابل عشرات رجال الأعمال و موظفو الشركة اللائي أخبروا الشرطة أنك حاولت قتل إبراهيم و هددته بالقتل منذ زمن... و الخدم أيضا

أدلوا بشهاداتهم، فأخبروا الشرطة أن تصرفاتك تغيرت منذ وفاة سيد كمال نجم، حيث صرت عدوانيا لدرجة كبيرة، و طبعا هذه الشهادات تجعل قضيتك أصعب بكثير مما كانت عليه.

- لكنك وعدتني أنك ستساعدني!
- آسف يا بني، لقد فعلت أقصى ما بوسعي لمساعدتك على إثبات براءتك، لكنك تحتاج معجزة لتحقيق ذلك... محاكمتك ستقام بعد غد، أتمنى أن يرق قلب القاضي لحالك.

اتكأت على الأرض الدبقة، و أغمضت جفوني، اقترب مني أحد السجناء و وضع كتابا على صدري ثم عاد إلى مكانه، فتحت عيناي لأكتشف ما يجري، فحملت الكتاب بهدوء و قرأت ما نقش على غلافه السميك بخط عربي أصيل، "القرآن الكريم" أدرت رأسي نحو الشخص الذي اعتدت رؤية هذا الأخير بين يديه، فإذا به يبتسم في وجهي و كأنه يشجعني على قراءته، فاعتدلت في جلستي ثم فتحته فإذا بي أجد ورقة مكتوب عليها "القرآن غذاء الروح، يجعل الطمأنينة تسكن قلبك بسهولة و يفرج همك... فاقرأ "

اليوم ١٤ أبريل، انتهى كل شيء، غدا سينتقم مني الزمان أشد انتقام، سيضحك الكثير متجاهلين مصيري الأليم، غدا سأعود إلى ما كنت عليه في سن الثامنة، مجهول مسجون بين الجدران، دون ثروة ولا نسب، ليتني عدت ذاك الطفل الذي كنت عليه، ربما كنت مسجونا كما أنا الآن، لكني كنت مع من أحب، لم أكن محاطا بأخطر المجرمين!

زيارتي الأخيرة ستكون لتعيس الحظ الذي أشفق لحالي أو ربما لسعيد الحظ الذي خصص هذا اليوم بالضبط ليضحك على حالي، كلاهما يبغضني!

انتظرت دخول زائري بعد جلوسي على الكرسي المقابل للفراغ... فتح الباب و صوت كعبها العالي قطع هدوء المكان، رمقتها باستغراب ثم وقفت مندهشا، ابتسامة جميلة رسمت على شفتيها المزينتان بلون أحمر بارز، وضعت حقيبة يدها أمامها بأدب، ثم عدلت فستانها السماوي اللون، و رفعت رأسها نحوي دون كلام... جلست مكاني و الأسئلة تملأ عقلي، نظرت يمينا ثم شمالا و قلت:

- لابد أنني أحلم!! .... سارة؟

ابتسمت بعفوية ثم وضعت ضفيرتها ذات الخصلات البنية على كتفيها و قالت :

- نعم، بشحمها و لحمها .
- ماذا تفعلين هنا؟ من المفترض أن تكون في بلدك.
- جئت إلى المغرب من أجلك... أردت الاعتذار على ما حصل بيننا في الجامعة، لم أكن أعلم أنني أضايقك بإمضاء الوقت معك، لكنني استوعبت الأمر عند تجاهلك لي في المرة الأخيرة، أنا آسفة...كنت فقط أراك صديقا مثاليا لا غير .

ابتسمت بسخرية ثم قلت :

- و ها أنا الآن أدفع ثمن تصرفاتي الغير لائقة، أظن أنك ستستمتعين في المحكمة غدا... سيجعل قرار القاضي يشعرك بارتياح على الأقل.
- لا تقل هذا، جئت هنا للمساعدة... لقد قدمت شهادتي و أتمنى أن تستطيع مساعدتك .

رمقتها بتعجب ثم أجبتها:

- و ما دخلك أنت بالموضوع... كيف لك أن تشهدي

على شيء لا تعرفين حقيقته !

- **أنا أكثر شخص يعرف الحقيقة...**

ثم أخذت تبحث داخل حقيبتها بهدوء، فوضعت كاميرا تصوير على المنضدة ثم أكملت:

- **هذه الكاميرا قد تكون سبب نجاتك... اكتشفت حقيقة نور و خبأت هذه الكاميرا في البهو، حيث التقى إبراهيم بنور و اعترفا بكل شيء ،و حين حاولت نور قتلك، سجلت الكاميرا تفاصيل تلك الليلة المشؤومة، و الأوقات التي سبقتها حيث كان إبراهيم يدخل منزلك دون علمك...**
- **أنت حقا رائعة يا سارة! كيف تمكنت من معرفة حقيقة نور ؟**
- **كما ذكرت من قبل، لقد كانت نيتي هي الاعتذار منك، فذهبت إلى منزلك، لأجد نور واقفة أمام الباب تصرخ بوجه امرأة ما و تخبرها أنك ترفض رؤيتها، و أنك نسيتها و صرت رجلا محترم، و بصفتها زوجتك طردت المرأة المسكينة**
- **أي امرأة هذه؟ أ يمكنك أن تصفي لي شكلها ؟**

ابتسمت و أدارت وجهها نحو الباب، ثم أعطت إشارة

مجهولة، ليسمع ارتطام عكاز بالأرض تلاه صوت مشية بطيئة، وقفت باندهاش ثم ركضت نحوها و عانقتها بقوة و الدموع تنهمر على خدي، قبلت رأسها ثم قلت:

- اشتقت إليك يا أمي... بحثت عنك في كل مكان و لم أجدك، أين كنت طوال هذا الوقت ؟

مسحت دموعي ثم مررت يدها المجعدة على خدي و قالت :

- يبدو أنك تعذبت كثيرا يا بني...
- ظلمتني الحياة يا أمي... اعتقدت أنها سهلة لكنها صفعتني بقوة لأتعلم الدرس !

تقدم الحارس نحوي بعنف فجذبني من يدي و أعادني إلى كرسيي ثم قال:

- هذا إنذارك الأول و الأخير... ممنوع منعا كليا الاقتراب من الزوار !

حركت رأسي دليل الفهم، ثم أدرت وجهي نحو سارة التي فهمت استفساري الصامت فأجابت:

- هذه هي نفس المرأة التي أخبرتك عنها، أخبرتني عن هويتها بعد أن سألتها، فطلبت منها مساعدتي

على الإيقاع بنور و الوصول إليك... و رغم أن حالتها الصحية متدهورة بسبب تقدم السن، إلا أنها كانت مصرة على إيجادك!

- هذه الفتاة لطيفة جدا يا بني، لم تتخلى عني طوال هذه المدة و ساعدتني على إيجادك... و ها أنا ذا بعد مرور كل هذه السنوات من الفراق أجدك على هذه الحال .

طأطأت رأسي في خجل ثم قلت :

- أتمنى أن أستطيع الخروج من هنا يا أمي.... لقد تلاعبت بي نور و جعلتني شخصا طماعا، عديم الإنسانية، لأكتشف فيما بعد أنها مجرد شيطانة مخادعة !
- أعلم كل هذا يا بني، لقد أرتني سارة الحقيقة كلها على الكاميرا .

رفعت رأسي نحو سارة ثم قلت:

- نسيت أن أسألك يا سارة، كيف استطعت التواصل مع أمي، علما أنك لا تتحدثين لغتنا ؟

ابتسمت برقة ثم أدارت رأسها نحو أمي و قالت:

- **أمك تتحدث الفرنسية بطلاقة... لم أجد أي مشكلة في التواصل معها، أخبرتني أنها تعلمتها قديما ، لكنها تخلت عنها عندما غادرت المدرسة بسبب ظروف قاهرة !**

رمقتني أمي بحنو ثم أمسكت يدي و قالت:

- **أين هو لهيب اكتشاف الحقيقة الذي توقعت أن أراه في عينيك ؟ ألم تعد مهتما بمعرفة من أنت ؟**
- **أحرقني ذلك اللهيب يا أمي... لذلك حاولت نسيان التساؤلات التي ملأت رأسي، و تقبل أنني مجهول.**
- **لست مجهولا يا بني، و لم تكن مجهولا طوال حياتك، أنت ابن عائلة نبيلة !**
- **لم أكن أعتبر كمال و نور عائلتي، لذا لا تفكري في إخباري ذلك .**
- **لا، لم أقصد كمال نجم و لا نور، أنت فعلا من عائلة نبيلة... و أنا لست أمك بل مجرد مربية.**
- **كفى هراء يا أمي !**

- كانت أمك سيدة حنونة و راقية، تمتاز بجمال عربي أخّاد، تعتني بمجموعة شركات نجم و كأنها كل حياتها، لكنها توفيت خلال ولادتك، فاعتنيت بك أنا و حاولت ملأ فراغ أمك....
- ك..كيف ؟...لدي أم حقيقية و أنا سبب موتها، و ماذا عن أبي ؟!
- والدك لم يهتم لوجودك، كان رجلا وسيما و محترما فتزوج بعد وفاة أمك بفتاة لا تضاهي أمك جمالا، لكنه أغرم بها و بدأت السيطرة عليه رويدا رويدا... حيث أقنعته أن يتخلى عنك .
- و لبّى طلبها؟ ... تخلى عني ؟
- رغم أنه لم يهتم لوجودك، لكن قلبه رق لحالك، و رفض التخلي عنك... إلا أن زوجته هددته بتشويه سمعته و فضح أسراره، فانصاع لأوامرها رغما عنه و أمر أحد الخدم بإبعادك عن المنزل، ليضعك هذا الأخير في الشارع ....
- لأكون فريسة للذئاب البشرية، لم يرحم ضعفي و هواني... لما حاولت زوجته التخلص مني بهذه الطريقة؟
- كانت تعتبرك تهديدا بالنسبة لها.... فأنت ابن زوجها، لست سوى نكرة !

- **ماذا حدث فيما بعد؟**
- **تبعت خطى الخادم و تمكنت من إنقاذك و إبعادك عن الأنظار...**
- **و بعد مرور ثمانية سنوات، ندم أبي على فعلته و جاء لأخذي من بين يديك !**
- **لا يا بني، والدك توفي مع زوجته في حادث طائرة... و لم يحاول البحث عنك، عكس خالك المسكين، الذي ظن أني خطفتك من المنزل و بحث عنك إلى أن أخذك من بين يدي... سيد كمال نجم، كان توأم أمك المسكينة، حزن لفراقها حزنا شديدا.**
- **كمال... خالي ؟؟**
- **نعم يا بني، المسكين كان يحبك كثيرا**

غطيت وجهي بيداي ثم قلت:

- **يا إلهي، ما الذي يحصل لي !!**

مسحت دموعي ثم رفعت رأسي تجاه أمي -مربيتي- ثم قلت:

- **كيف يمكنني أن أرد جميلك يا أمي ؟**

- يكفيني أن تكون سعيدا في حياتك... و تختار الشخص المناسب هذه المرة.

ثم أدارت وجهها نحو سارة التي طأطأت رأسها في خجل، فابتسمت أمي و أضافت:

- أخبرتني المسكينة أنها فعلت المستحيل كي تستطيع المجيء إلى المغرب... لذا لا تخيب ظنها و أعرها بعض الاهتمام!
- لكن سارة مسيحية يا أمي .

رفعت سارة رأسها ثم قالت:

- أنا أفكر في اعتناق الإسلام.
- حقا! هذا أمر ممتاز... أتمنى لك التوفيق .

صوت الحارس قاطع حديثنا :

- انتهت وقت الزيارة!
- دقيقة إضافية أرجوك .
- لقد استغرقت وقتا طويلا هذه المرة، لا يمكن أن أسمح لك بالبقاء هنا دقيقة إضافية.

رفعت أمي رأسها ثم قالت:

- سنراك غدا في المحاكمة يا بني... كن قويا !

ثم صرخت سارة:

- نحن معك دائما !

استيقظت في الصباح على إثر ضجيج مفتاح الباب الحديدي، تلاه دخول حارس الأمن قائلا:

- نجم! تقدم حان وقت محاكمتك.

دخلت المحكمة بهدوء، و الخوف ملأ فؤادي، أدرت رأسي نحو الحضور ليطمئن قلبي برؤية أملي و سعادتي ، لكنني تفاجأت بوجود سارة جالسة بين الحضور وحدها، في الجهة الأخرى كانت نور جالسة بكبرياء، ترمقني بنظرة ساخرة، أدرت رأسي نحو القاضي الذي بدى لي عديم الملامح .

ضجيج في كل مكان، أسكتته كلمات القاضي بعد طرقات متتابعة بمطرقته الخشبية، أغلقت عيناي لأنعم ببعض السكينة الداخلية، و أتمكن من السيطرة على ذبذبات الخوف الذي سكنني. في لحظة، تمنيت أن أغيب عن الوعي و أستيقظ في غرفتي بين أحضان

أمي التي زادني غيابها قلقا .

شاهد بعد شاهد، أغلبهم يمقتني دون علمي، رموا أقنعتهم في الهواء ليظهر أمامي وجههم الشيطاني الذي كان يختبئ فور رؤيتي، طمع، حسد أو ربما كره، جميعها أحاسيس لمحتها في تفاصيل كل وجه مر أمامي، الراحة كانت تتربع على عرش قلوبهم، و لما لا و هم على يقين أن كل كلمة مما قالوا ستجعل مصيري أسوأ فأسوأ، لم أتفاجأ كثيرا باكتشاف حقيقتهم أكثر من تفاجئي بدرجة كرههم، ماذا فعل هذا العبد المذنب بهؤلاء البشر لينتشو بسقوطه؟!

تقدمت سارة كآخر شاهدة، تكلمت و لم تتوقف عن الكلام، شاهدت تغير ملامح القاضي عند كل كلمة، أدرت رأسي نحو المحامي الذي بدى عليه الإعياء، رمقني بنظرة مطمئنة و وقف لمساندة كلمات سارة.

بعد ساعات من الارتباك، نطق القاضي حكمه قائلا:

- **بعد الاطلاع على الدلائل، اتضح أن المتهم المدعو نجم، ارتكب ثلاث جرائم دون قصد، الأولى تتعلق بالمريض النفسي الذي انتحر بالفعل قبل أن**

يتمكن المتهم من التخلص من جثته، و بالنسبة لحكم هذه القضية فهو السجن لثلاثة أشهر و غرامة مالية ستحدد قيمتها فيما بعد ، القضية الثانية تتعلق بطفل صغير توفي على إثر نزيف حاد سببه طبيب جراح فاشل، حكم هذه القضية غرامة مالية ستحدد فيما بعد، و بالنسبة للقضية الثالثة المتعلقة بمقتل سيد إبراهيم عبيد بعد شجار دار بينه و بين المتهم، فقد كشف التشريح أن الضحية لم يمت على إثر الضربة التي تلقاها من طرف المتهم، بل مات متأثرا بجرعة من السم، حيث كشفت الدلائل أن صديقته نور ناجد حاولت قتله، كما حاولت قتل المتهم، و بذلك فإن المتهم بريء من هذه القضية، و سيتم اعتقال نور ناجد إثر الدلائل التي توضح أنها قامت بمجموعة عمليات نصب و احتيال في حق المرحوم كمال نجم و في حق المتهم.... رفعت الجلسة.

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆

رفعت رأسي للسماء لأتمكن من تحسس النسيم العليل الذي داعب حواسي، استنشقت الهواء النقي فامتلأت

رئتاي بالأوكسجين الصافي، كان من الصعب التخلص من بقايا التبغ الذي دمرت خلايا جسدي، لكنني انتصرت عليه في نهاية المطاف. جلست قربها و تحسست تراب قبرها، ثم قلت:

- **رحمك الله يا جنتي .**

يد وضعت على كتفي بحنان، جعلتني أستدير إليها و أقبل يدها، ابتسمت بحنو فزادتها غمازتها جمالا، رمقتني بعينيها العسليتين ثم قالت:

- **رحمها الله يا عزيزي، كانت لطيفة جدا... كانت تتألم لكنها صمدت أمامك، لكنها انهارت فور مغادرتك، و توفيت بعد أن نطقت الشهادتين.**
- **لولاك لما استطاعت إيجادي، رحمها الله و أسكنها فسيح جناته.... لا داعي للبكاء يا سارة، لا أريد أن يحزن طفلنا كذلك !**

ثم ابتسمت بعد أن لامست بطنها، و قالت :

- **سنكون عائلة سعيدة، فقط أنا و أنت و طفلنا يا زوجي العزيز يوسف .**

النهاية.